جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

فيلون الإسكندري وفلسفته التوفيقية

دكتور

أنور عبد الجليل جمعه رضوان

جامعة الأزهر/كلية أصول الدين بالمنوفية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

مما لا شك فيه أن فيلون الإسكندري أو اليهودي[1] احتل مكانة عالية ومنزلة سامية في تاريخ الفكر الفلسفي، إذ هو أكبر ممثل للفكر اليهودي المشبع بالفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات، وهو أول من وضع الفلسفة في خدمة الدين – الدين اليهودي – وكان هدفه من ذلك إظهار أن اليهودية أكمل وأعمق من الفلسفة اليونانية فصار في هذا الاتجاه رائداً للفلاسفة اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ممن وضعوا الفلسفة في خدمة الدين باعتباره أول من

(1) يطلق عليه بعض الباحثين فيلو بدون (ن). راجع ول ديورنت قصة الحضارة المجلد السادس جـ103/11 ط مكتبة الأسرة 2001م، وانظر سلوى كاظم الترجمة السبعينية للتوراة بين الواقع والأسطورة. صـ18. بدون تاريخ طبع أو نشر.
وقد عرف فيلون بصفتين هما فيلون السكندري، وفيلون اليهودي، ويستخدم الباحثون والمتخصصون هاتين الصفتين وصفاً لفيلون، ومع ذلك فإن البعض يفضل وصف فيلون بالسكندري مع أن الصفتان تؤديان نفس الغرض بقوة متعادلة لأن كلاهما يعبر عن جوانب هامة من حياة الفيلسوف وأعماله، انظر مجدي السيد أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ 22- 23. ط المكتب الجامعي 2014م.
أما عن سكندري وإسكندري من الناحية اللغوية فالسكندري نسبة إلى مدينة الإسكندرية المعروفة على غير قياس وقياسها إسكندري وأسكندري بالفتح والكسر.

حاول بوضوح التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية[1] جاداً في اثبات وحدة الحقيقة رغم اختلاف مظاهرها بين الدين والفلسفة مع عدم الفصل بينهما متخذاً من الدين أصلاً شارحاً له بالفلسفة.

ولا شك أن شخصية مثل هذه نمت ونشطت في مدرسة الأسكندرية حريٌ بالباحث أن يكتب وأن يكشف عن آرائها وفلسفتها للباحثين والدارسين مبيناً جوانب التأثير والتأثر لدى هذا الفيلسوف، ومن هنا كان هذا البحث الذي بين أيدينا والذي جعلته بعنوان:

"فيلون الإسكندري وفلسفته التوفيقية"، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة ثم المصادر والمراجع.

المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهج الباحث.

والتمهيد: تحدثت فيها عن مدرسة الأسكندرية، باعتبار أن فيلون أحد أبنائها وأبرز أعلامها.

والمبحث الأول: حياة فيلون وأهم مؤلفاته.

والمبحث الثاني: الخصائص العامة لفلسفة فيلون.

والمبحث الثالث: أسس الفلسفة الفيلونية.

والمبحث الرابع: فلسفة فيلون الإلهية.

والمبحث الخامس: الوجود في فلسفة فيلون.

والمبحث السادس: الكلمة "أو اللوغوس أو اللوجوس" الوسطاء في فلسفة فيلون.

والمبحث السابع: مذهب فيلون في الأخلاق والتصوف.

ثم الخاتمة: ضمنتها أهم النتائج والتوصيات. ثم المصادر والمراجع.

أما عن المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فقد اتبعت مجموعة من المناهج أهمها التاريخي والتحليلي والنقدي والمقارن، ولا أدعي أن بحثي عن شخصية مثل فيلون قد أحاط بها من جميع جوانبها فما هو إلا جهد مني لإبراز آراء هذه الشخصية التي عرفت بالتناقض والتضارب، ولا ادعي أن بحثي هذا قد بلغ الكمال، وإنما هو جهد المقل، إن كان قد أصاب فلله الحمد والمنة وإن كانت الأخرى فما إليها سعيت، وما فيها رغبت، وما الكمال إلا لله (ﷻ)، ومن اجتهد فأصاب فله اجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد وهو أجر اجتهاده.

(1) وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن هناك محاولات سابقة على فيلون مثل محاولات "أريستوبولس" ولكنها من وجهة نظر الكثير كانت بمثابة تمهيد لفيلون ومن جاء بعده من الفلاسفة.

والله تعالى أسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد وأن يجنبنا شطط الرأي ويهدينا إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والحمد لله في البدء وفي الختام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الباحث

أنور عبد الجليل جمعه رضوان

Y

مدرسة الأسكندرية

لقد شهدت الأسكندرية منذُ بدأت مؤسساتها العلمية والفكرية في العمل نشاطاً ملحوظاً للطائفة اليهودية التي كان يُقدَّر تعدادها حوالي خُمسي سكان الأسكندرية [1]؛ أي أنهم يمثلون نسبة كبيرة من سكان المدينة.

ولما بدأت التأثيرات الفكرية المتبادلة بين طوائف الأسكندرية تفعل فعلها ظهرت الحاجة إلى أن نفهم كل طائفة الطوائف الأخرى، ولما كان اليهود يمثلون الطائفة الأكثر مشاركة وإثارة للقلاقل، فقد بدأت الحاجة ملحة؛ لأنَّ اليونانيين يفهمون اليهود الفهم الصحيح ولعل هذه الحاجة إلى فهم اليهود فهمًا أعمق هي التي دعت "ديمتريوس الفاليري" إلى أن يقترح على بطليموس الثاني، ترجمة العهد القديم كتاب اليهود المقدس من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية معللًا ذلك بأن هذه الترجمة ستكون مفيدة لليونانيين واليهود على حد سواء[2]؛ أما فائدتها لليهود فتتمثل في أن الكثيرين منهم لم يعودوا يتكلمون العبرية وصاروا يتكلمون اليونانية بلهجة خاصة، ولذلك فإنَّ هذه الترجمة ستساعدهم على قراءة كتابهم المقدس باللغة اليونانية التي أصبحت لغتهم.

أما فائدتها بالنسبة لليونانيين: فهم غير قادرين على قراءة العبرية ومن ثم فترجمة العهد القديم ستساعدهم في فهم التراث اليهودي كما ستساعد رؤساء اليهود من اليونانيين على فهم مرؤسيهم فهمًا أفضل[3].

وقد قبل بطليموس الثاني القول بالترجمة وبعث "أريستايوس" و"أندرياس" إلى "اليازار"، الحبر الأكبر لليهود راجيًا إياه أن يعيره المخطوطات اللازمة وأن يوجه إلى الأسكندرية ستة ممثلين لكل قبيلة من القبائل الإثنتي عشرة، ولبى اليازار رغبة بطليموس الثاني وأرسل إليه النص المطلوب وكان مكتوبًا على الجلد، ونزل العلماء الاثنان والسبعون في جزيرة فاروس، وأنجزوا عملهم في اثنين وسبعين يومًا، ولهذا السبب سُمِّيت هذه الترجمة للعهد القديم بالترجمة السبعينية [4]، وكانت هذه الترجمة السبعينية ذات أهمية كبيرة؛ لأنها كانت تمثل كما يقول د/مصطفى النشار: البداية الحقيقية لظهور الفكر اليهودي على الساحة

---

(1) ول ديورنت. قصة الحضارة.- مج6- جـ101/11؛ ترجمة محمد بدران.- القاهرة: مكتبة الأسرة، 2001م.

(2) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية.- صـ53 - ط دار المعارف بمصر، 1995م، طبعة أولى.

(3) د/مصطفى النشار. نفس المرجع السابق. صـ53. "بتصرف".

(4) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

السكندرية؛ حيث بدأ الدارسون من اليونانيين واليهود السكندريين تحليلاتهم للتوراة وتأويلها التأويل الرمزي التوفيقي بين اليهودية والتراث الديني الشرقي من جهة والفلسفة اليونانية من جهة أخرى[1].

ولا شك أن فيلون الذي نحن بصدد الحديث عنه كان أهم أعلام فلاسفة اليهود في الأسكندرية، وكان رائدًا للتيار التوفيقي الذي يعتمد أتباعه على التأويل الرمزي للتوراة، والذي كان له فيما بعد أثر في الفكر الإسلامي[2].

المبحث الأول
حياة فيلون وأهم مؤلفاته

مما تجدر الإشارة إليه أنَّ حديث التاريخ عن فيلون ضئيل جدًا، فلم يحفل به التاريخ كما حفل بغيره، ولم نعثر له على سيرة كاملة تبيَّن معظم جنبات حياته؛ فكان شأنه في ذلك شأن كثير من المفكرين والفلاسفة.

ولكن بالرغم من ذلك فإنَّ فيلون "يتمتع بمكانة فكرية هامة في مدرسة الأسكندرية باعتباره رائدًا للدراساتِ التوفيقية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية وباعتباره أول من حاول بوضوح إثبات وحدة الحقيقة رغم اختلاف مظاهرها من ناحية الدين أو من ناحية الفلسفة[3].

ويُعَدُّ فيلون من أشهر فلاسفة اليهود في القرن الأول الميلادي وهو زعيم مدرسة فكرية في الأسكندرية جمعت بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية.

❖ مولده:-

تضاربت الآراء بين الباحثين والمفكرين بشأن مولد فيلون:-

- فيرى بعض الباحثين أنَّه ولد 40 ق. م، وتوفى 40 م[4].

---

(1) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ54.

(2) د/عبد الرحمن المراكبي. التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه.- صـ92- 94، ط دار محيسن للطباعة والنشر بالقاهرة 1424هـ/2003م، ط الثانية.
وانظر د/محمد مصطفى. علم التصوف.- صـ192 – 195، ط مطبعة السعادة بالقاهرة 1403هـ/ 1983م ط أولى.

(3) عبد المنعم الحفني. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية.- صـ160، القاهرة: مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، 1980م. ط أولى.

(4) محمد على أبور بان. تاريخ الفكر الفلسفي.- جـ2/322. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، 1974م. ط الرابعة.

- ويرى أحدهم أنَّه ولد 40 ق. م، وتوفى 50 م[1].
- ويرى بعضهم أنَّه ولد 30 ق. م، وتوفى 50 م[2].
- ويرى بعض الباحثين أنه ولد 30 ق. م، وتوفى 54 م في عصر الحواريين[3].
- ويرى آخرون أنَّه ولد حوالي 25 ق. م، وتوفى 40م[4].

يقول د/محمد يوسف موسى "نحن نعرف أنَّ فيلون هذا ولد بالأسكندرية نحو عام 20 أو 30 قبل الميلاد، وأنَّه مات بعد عام 54 من القرن الأول للميلاد في زمن الحواريين[5]، ويقول أحد الباحثين "الأرجح أنَّ فيلون ولد فيما بين عام 15 أو 20 ق.م؛ ويعني ذلك أنَّه عاصر حكم كل من الإمبراطور أغسطس وتبريوس وكاليجولا، وكان بطبيعة الحال معاصرًا للسيد المسيح"[6].

لكن بالرغم من تضارب الآراء حول مولده ووفاته والتي لم يترجح لدى أو لدى أحد من الباحثين أحدهما على الآخر على أساس أو دليل علمي، لكن من المؤكد لدى جميع الباحثين أنَّه عاش في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، ومنتصف القرن الأول الميلادي، وأنَّه بلغ ازدهاره بين طائفته بالأسكندرية في عصر الإمبراطور "كاليجولا"[7].

ويذكر عنه أنَّه أرسل على رأس الوفد اليهودي إلى الإمبراطور كاليجولا يلتمس منه العدالة لبني جنسه من اليهود الذين كانوا يعاملون في ذلك الوقت معاملة قاسية، حيث قد حدث في عام 38م أن هاجم الغوغاء من اليونان معابد اليهود وأصروا على أن يضعوا في كل معبد منها تمثالاً للإمبراطور كاليجولا ليتخذوه

---

(1) محمد أبو قحف. مدرسة الأسكندرية الفلسفية: التاريخ الحضاري والحوار الثقافي صـ79. ط دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2004م.
(2) عبد المنعم الحفني. مرجع سابق. صـ160.
(3) عبد الرحمن محمد موسى المراكبي. التصوف الإسلامي بين انصاره وخصومه.- صـ92. مرجع سابق.
(4) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية. صـ27.
(5) محمد يوسف موسى. مقدمة ترجمة كتاب الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الأسكندري، للأستاذ إميل بريهييـة. صـ1.ترجمة د/ محمد يوسف موسى ود/ عبدالحليم النجار، طـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي القاهرة 1954م.
(6) مجدي السيد أحمد كيلاني. فيلون بين الفلسفة والدين. مرجع سابق. صـ22.
(7) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ57.

إلاهًا، وحرقوا أربعمائة بيت لليهود، وقتلوا منهم الكثير، وقبضوا على ثمانية وثلاثين عضوًا من أعضاء المجلس اليهودي وجلدوا علنًا في إحدى دور التمثيل، وطرد الآلاف من اليهود من بيوتهم وحرموا من أعمالهم وأموالهم(1).

ولكنَّ الإمبراطور قضى نحبه قبل أن يصدر حكمه في قضية الوفد اليهودي الذي ترأسه فيلون فلما جلس "كلوديوس" على العرش أعاد إلى يهود الأسكندرية ما كان لهم من حقوق وأكد لهم مواطنتهم في المدينة وأصدر أمرًا مشددًا بألا يعكر صفو السلام أحد(2).

يقول ول ديورنت عن فيلون مبينًا عراقته وأصالته "إنَّه من أسرة عريقة من رجال الدين ولا نكاد نعرف شيئًا غير هذا عن حياته، ولكن تقواه وكرم أخلاقه يظهران في المؤلفات الكثيرة التي وضعها في شرح الدين اليهودي للعالم اليوناني، وقد نشأ الرجل في جو ديني فكان شديد الوفاء لشعبه، ولكنه افتتن بالفلسفة اليونانية فجعل هدفه في الحياة أن يوفق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة والآراء اليونانية بخاصة أفلاطون من جهة أخرى(3).

يقول د/مجدي كيلاني: "من المعروف أنَّ "فيلون" كان ينحدر من أسرة غنية وذات نفوذ فكان أخوه يشغل وظيفة جباية الضرائب عند اليهود، وكان ابن اخته "تيبريوس جوليوس الإسكندر الذي كان واليًا على مصر، وهذا يدل على أن فيلون كان ينتمي إلى صفوة المجتمع اليهودي في الأسكندرية(4).

"وفيلون" أحب الفلسفة منذُ صغره وأولى تعلمه لها ودرس علوم النحو واللغة لا لمجرد دراستها في ذاتها ولا من أجل الخطابة كما كان يفعل جميع رجال عصره بل من أجل الفلسفة التي تمهد لها تلك العلوم(5).

والفلسفة التي أحبها فيلون وعشقها هي فلسفة أفلاطون بوجه خاص، والأرسطية والرواقية بوجه عام، فهو ملاحظ ودارس للفلسفة يسجلها ويشرحها ويناقشها، فهو شاهد على الفلسفات السابقة عليه والمعاصرة له(6).

---

(1) ول ديورنت. قصة الحضارة.- مج6. جـ11. صـ 102، 103. "بتصرف".
(2) ول ديورنت. قصة الحضارة.- جـ102/11.
(3) ول ديورنت مرجع سابق. جـ103/11، وقارن د. عبد المنعم الحفني. مرجع سابق. صـ160.
(4) مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ21.
(5) نجيب بلدي. تمهيد لتاريخ مدرسة الأسكندرية وفلسفتها. صـ80 دار المعارف، 1962م. بالقاهرة.
(6) نجيب بلدي. نفس المرجع السابق. صـ صـ 80، 81. "بتصرف".

ومما لا شك فيه "أنَّ معرفة "فيلون" بالفلسفة اليونانية وخاصة أفلاطون وأرسطو والفلسفة الرواقية لم تكن بأي حال من الأحوال معرفة سطحية، ؛ لأنَّه كان ينوي من البداية أن يضع كل معرفة له بهذه الفلسفة في خدمة الدين اليهودي مدافعًا عنه بسلاح الفلسفة محاولاً وضع تراثه الديني واليهودي على قدم المساواة مع الثقافة اليونانية[1].

وبجانب ذلك فقد كان "فيلون" يتقن اللغة اليونانية، ويوضح ذلك د/محمد على أبو ربان حيث يقول "إن فيلون حينما ذهب ليشكوا إلى الإمبراطور كاليجولا سوء معاملة الحاكم الروماني كان يقرأ التوراة في ترجمتها اليونانية المسماة بالسبعينية، وقد شرح فيلون التوراة باللغة اليونانية[2].

وهذا النص يعطينا دلالة واضحة إلى عمق دراسة فيلون للغة اليونانية، وآدابها وافتتانه وذلك ناتج عن حبه للفلسفة اليونانية، ولذلك يقول ول ديورنت عن فيلون "كان يكتب باللغة العبرية بأسلوب لا بأس به، ولكن أسلوبه في اليونانية بلغ من الجودة حدًا جعل المعجبين به يقولون "أنَّ أفلاطون كان يكتب كما يكتب فيلون"[3]، إنَّ أفلاطون لم يكن سوى موسى يتكلم باللغة اليونانية[4].

وبالجملة فإن فيلون أحب الفلسفة وتعلمها وتعلم لها أدواتها من لغة ونحو وأدب، يقول جوزيفوس: "إن فيلون يمثل حالة استثنائية بين اليهود حيث كان على صلة وثيقة بالآداب والعلوم والفلسفة اليونانية وكان شغوفًا بالعلم والمعرفة وكان مهتما بمختلف فروع العلم؛ لأنه تربى على هذا الاتجاه الموسوعي في المعرفة حيث درس النحو والهندسة والموسيقى، لكنه بمجرد أن شرع في دراسة الفلسفة أصبح لديه قناعة شديدة بأنه يجب أن يرجئ أي دراسة أخرى من أجل التفرغ للفلسفة التي سوف تنقله حتما إلى أسمى درجات البحث والدراسة في الإلهيات والإنسانيات؛ لأنَّ الحكمة هي في معرفة هذه الأمور وفي معرفة عللها"[5].

مؤلفاته:- "يمثل نتاج هذا الفيلسوف واحدًا من الانعكاسات الأبلغ دلالة لتوفيقية النصف الأول من القرن الأول الميلادي التي تلاقى فيها الفكر اليوناني والفكري العبري[6]، ومؤلفات "فيلون" عديدة رغم أن الكثير منها قد فقد إلا أن

---

(1) مجدي السيد أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين.- مرجع سابق. صـ24، 25. "بتصرف".

(2) محمد على أبو ربان. تاريخ الفكر الفلسفي.- جـ2/321، وقارن د/ عبد المنعم الحفني الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. مرجع سابق. صـ160.

(3) ول ديورنت. قصة الحضارة.- جـ11/103.

(4) محمد محمود أبو قحف. مرجع سابق. صـ79.

(5) نقلاً عن فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. مرجع سابق. صـ23، 24.

(6) جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة.- صـ490. ط3. بيروت: دار الطليعة، 2006م.

قائمة بأسمائها احتفظ بها المؤرخون، ويرى المتخصصون في الدراسات الفيلونية أنه يمكن تقسيم هذه المؤلفات إلى:-

1- كتابات فلسفية محضة. 2- كتابات في شروح التوراة. 3- كتابات في التبشير والرد على المخالفين(1).

ويشير يوسف كرم إلى أهم كتبه الفلسفية البحتة فيذكر كتابين أحدهما " في دوام العالم " والثاني " في العناية " (2).

ويذكر جورج طرابيشي أهم كتبه: "دفاع عن اليهود – الشرح المجازي للشرائع المقدسة – في عبودية الأحمق – في حرية الحكيم – في العناية الإلهية(3)، ودوام العالم(4)"، وللاستزادة حول مؤلفات "فيلون" فقد عقد الأستاذ إميل بريهيية من خلال كتابه القيم "الآراء الدينية والفلسفية لفيلون مدخلاً تناول فيه مؤلفات فيلون بالشرح والتفصيل(5).

وقد وصفها أحد الباحثين في قائمة على النحو الآتي:-

1- عن إبراهيم	**2- عن أبدية العالم**	**3- عن الزراعة**	**4- عن الملائكة**
5- عن اختلاف الألسن	**6- عن وحدة الدراسة**	**7- عن الوصايا العشر**	**8- الأسوأ يهاجم الأفضل**
9- أن الإله لا يمكن أن يكون متغيرًا	**10- عن السكر**	**11- ضد فلاكوس**	**12- عن الهروب والاكتشاف**
13- عن العمالقة	**14- عن يوسف**	**15- التأويل الرمزي**	**16- البعثة إلى جايوس**
17- هجرة إبراهيم	**18- عن تغيير الأسماء**	**19- كل الأخيار أحرار**	**20- عن خلق العالم**
21- عن النبات	**22- عن ذرية قابيل**	**23- عن الثواب والعقاب**	**24- عن العناية**
25- أسئلة وأجوبة حول التكوين	**26- من الذي يرث الأشياء المقدسة.**	**27- عن أضحيات هابيل وقابيل**	**28- عن الصرامة**
29- عن الأحلام	**30- القوانين الخاصة**	**31- عن الفضائل**	**32- عن حياة التأمل**

(1) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون.- ترجمة ومراجعة. محمد يوسف موسى، وعبد الحليم النجار. صـ9. ط

(2) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ248. ط دار العلم بيروت – لبنان.

(3) جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة. مرجع سابق. صـ491.

(4) أميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الأسكندري. صـ 5 -6.

(5) أميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الأسكندري. صـ 5 -6.

33- عن حياة موسى[1].

وهذه المؤلفات للأسف الموجود منها مازال في لغتها اليونانية الأصلية[2].

المبحث الثاني
الخصائص العامة لفلسفة فيلون

تتميز فلسفة فيلون الأسكندري بعدة خصائص أهمها:-

1) سيادة النظرة التوفيقية:-

إنَّ الدارس لفلسفة فيلون يلاحظ بوضوح وجود سيادة النزعة التوفيقية بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية، إلا أنَّه لاهوتيًا أكثر مما يعد فيلسوفا لأنَّ الأصل عنده لم يكن الفلسفة وإنما كان الدين[3]، وإنا لنرى فيلون في أول الأمر مؤمناً باليهودية كل الإيمان يؤمن بكتبها ويعتقد أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون إلا إلهية صادرة عن وحي إلهي وإلا لما استطاعت البقاء تلك المدة الطويلة، وبقائها دليل على أن مصدرها إلهي[4].

وسيادة التوفيق هذه لم تكن من مبتكرات فيلون بل هي نزعة امتازت بها مدرسة الأسكندرية عمومًا، يقول د/مصطفى النشار: "إنَّ الدارس لتلك البيئة الفكرية يلاحظ بوضوح سيادة نزعة التوفيق بين المتناقضات إذ يجد محاولات للتوفيق بين الأديان الشرقية واليونانية والتوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية، والتوفيق بين الدين المسيحي حين ظهوره وازدهاره وبين الفلسفة، وربما يقود ذلك في اعتقادي إلى تلك الروح الشرقية التي تميل دائمًا نحو الوسطية الساعية إلي التوفيق بين المتناقضات، وهذه النزعة ظهرت وازدهرت في الأسكندرية سواء لدى أهل البلاد الأصليين أو لدى المستوطنين اليونان[5].

2) شيوع النزعة الدينية وغلبة الروح الشرقية:-

إنَّ النزعة التوفيقية التي سادت فلسفة "فيلون" نتج عنها في النهاية غلبة الطابع الديني وسيادة الروح الشرقية، فقد اختلطت الفلسفة بالدين لدرجة

(1) مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ 345 -347.
(2) ـ . نفس المرجع السابق. صـ 35.
(3) عبد الرحمن بدوي. خريف الفكر اليوناني. صـ89. ط مكتبة النهضة المصرية 1979م ط الرابعة.
(4) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.
(5) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. مرجع سابق. صـ صـ 36، 37. "بتصرف".

"امتصاص الدين والوحي لها وإلى حد اتخاذها الدين والوحي طريقًا للإعلام بحقائقها وأصولها وللبحث أيضًا عن تلك الحقائق والأصول"[1].

ولا غضاضة في ذلك طالما أن "الأنبياء قد جاءوا من الشرق..... فكتاب هذا العصر يعتزون بالشرق وأنبيائه ولا يجدون لآرائهم وفلسفتهم والفلسفة كلها تدعيمًا أعظم من ربطها بالشرق وأنبيائه[2].

ولما كان طريق الأنبياء في المعرفة غير طريق الفلاسفة إذ طريق الأنبياء الوحي، وطريق الفلاسفة العقل واستدلالاته، واستنباطاته المنطقية بعد بحث واستقصاء أساسه الشكوك والاعتراضات.

فما سبب هذا التحول الفكري الذي أدى إلى هذه الصورة الفريدة من الخلط والمزج بين الدين والفلسفة يجيب على ذلك د/النشار فيقول:-

إن الأسباب عديدة أهمها:-

1) عجز العقل اليوناني بعد الوصول إلى قمة نضجه في فلسفة أفلاطون وأرسطو أن يأتي بجديد.
2) المشاق والصعاب التي تحملها العقل اليوناني في الوصول إلى الحقائق العقلية المجردة وعجزه في النهاية عن إيراد البراهين والحجج المتجددة لإثبات وضمان استمرارية صدقها.
3) الحياة السياسية والاجتماعية المضطربة كانت بلا شك أحد أسباب شيوع هذه النزعة التوفيقية بين الدين والفلسفة[3].
3) **أصالة الفكر اليهودي وسبقه على غيره من الفلسفات الأخرى:-**

لا شك أن الفكر اليهودي بما اشتمل عليه من توفيق بين الدين والفلسفة يعتبر فكرا أصيلا وله أولوية السبق على غيره من الأفكار وهو في ذلك يظهر مدى التعصب والعنصرية وفي ذلك يقول فيلون: "إنَّ الأصل في كل تفكير كائنًا ما كان الديانة اليهودية فهي التي أثرت في كل تفكير يوناني أو غير يوناني ولا نستطيع أنْ نجد مكانًا على الأرض لم يتأثر بهذه الديانة"[4]، وذلك يوضح مدي عنصرية فيلون وتعصبه لبني جنسه من اليهود.

ويقول أحد الدارسين لفيلون: تمثل فلسفة فيلون مرحلة جديدة في تاريخ الفلسفة اليونانية انتقلت فيها الفلسفة من التنظير في مجالات الطبيعة والميتافيزيقا والأخلاق والسياسة والإيستمولوجيا على أسس وثنية وتعددية إلهية..... إلى

(1) نجيب بلدي. تمهيد لتاريخ مدرسة الأسكندرية وفلسفتها. صـ 90.
(2) المرجع السابق. نفس الصفحة، وقارن. مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ40.
(3) راجع. مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ40، 41. "بتصرف شديد".
(4) عبد الرحمن بدوي. خريف الفكر اليوناني. صـ91.

التنظير في الفلسفة على أساس ديني يعتمد على الإيمان بالتوحيد كما جاء في تعاليم التوراة، ولذلك كان فيلون أول من وضع الفلسفة في خدمة الدين فأصبح على هذا النحو رائدًا في هذا المجال للفلاسفة المسيحيين والمسلمين على السواء[1].

المبحث الثالث

أسس فلسفة فيلون

يراد بفلسفة فيلون التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة أو بين العقل والنقل ولقد أقامها "فيلون" على عدة أسس أهمها:-

1) التوفيق بين الدين والفلسفة ودور الفلسفة ومهمة الفيلسوف في ذلك:-

إن الباحث في فلسفة هذا الرجل يصاب بالحيرة إذا أراد أن يعرف نقطة البداية في فكر فيلون، فهل هو فيلسوف يتناول الدين تناولاً فلسفيًا عقليًا بحيثُ يمكننا أن نعتبره أحد فلاسفة الدين؟! أم هو رجل دين يحاول بكل ما يمتلكه من قوة الدليل العقلي أن يدافع عن دينه وأن يفسره تفسيرًا فلسفيًا في عصر كانت الثقافة السائدة فيه هي الفلسفة؟!

الحق أنه فيما يبدو لي كان هذا وذاك معًا، فهو على حد تعبير إميل بريهيية كان يهودياً حار الإيمان محافظاً في تقواه على كل الشعائر والتقاليد الدينية وكان نشاطه الفلسفي وقفا كله تقريباً على شرح الشريعة الموسوية، ومع ذلك فليس الباحث في حاجة إلى كثير من القراءة لفكر فيلون ليدرك ويلاحظ أن أفكاره الفلسفية والدينية لا يربطها بالشريعة إلا رباط غير وثيق من المجاز، ومن ثم كان لهذه الأفكار قيمة عالمية في ذاتها تجاوز بها صاحبها جنسيته اليهودية [2].

ويختلف ريتشارد باير مع هذا الرأي الأخير، حيث يرى أن اهتمام فيلون الأول لم يكن إبداع فلسفة جديدة، بل كان تفسير الكتاب المقدس، فقد أراد في الأساس صياغة الحقائق الدينية للتوراة، في إطار أفضل ما في العصر من مصطلحات وقضايا فلسفية[3].

---

(1) مجدي أحمد كيلاني. مرجع سابق. صـ5.

(2) إميل بريهيية. مرجع سابق. صـ19.

(3) Richard A Baer Jr philo,s Use of the Categories. Male and Femal, leiden Ej. Brill. 1970, P.5

- نقلاً عن مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ58.

ولقد بات واضحًا أن مهمة الفلسفة عند فيلون تختصر في البرهنة على أن حقائق الكتاب المقدس والحقائق الفلسفية متوافقة فمنبعها واحد وهو الله كما أن الفلسفة والدين معًا يقودان إلى معرفة الله[1].

يقول د/ ماجد فخري "ينطلق فيلون من مقدمة منهجية كبرى، وهي وحدة الحقيقة الفلسفية والحقيقة الدينية الواردة في التوراة والاختلاف الظاهر بين منطوق النصوص الدينية ومدلول النصوص الفلسفية يحتم اللجوء إلى أسلوب التأويل[2].

وفي ضوء ذلك يحدد فيلون معنى الفيلسوف الحقيقي بأنه: هو الذي يسير في طريق المعرفة الروحية لله؛ لأن الله هو الملك الأول والوحيد للعالم، ولأن الطريق الملكي الذي يقودنا إليه هو الفلسفة، كما يحدد معنى الفلسفة الحقيقي بأنها مسعى حماسي لإدراك الحقيقة النهائية للإله نفسه، وبالإضافة إلى هذا الطريق الملكي للفلسفة نجده متماثل في النهاية مع كلمة الإله[3]، فهو يحاول المزج بين الفلسفة والكتاب المقدس وهو يعمل في ذلك على مستويين:-

(1) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. مرجع سابق. صـ58.
(2) ماجد فخري. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ186 ط دار العلم للملايين. بيروت- لبنان، 1991م، ط أولى .
(3) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ58.

1) الاحتفاظ بالدين اليهودي.
2) الاحتفاظ بالتأويل الفلسفي، والفلسفة اليونانية محاولاً المزج في تناغم بين التعاليم الموسوية والأفكار الأفلاطونية[1].

على هذا النهج التوفيقي جاء الربط الفيلوني بين الفلسفة والدين وبين دور الفيلسوف الذي هو أشبه بدور العارف الديني، أو المتصوف الساعي إلى إدراك الحقيقة الإلهية، وبين رجل الدين المخلص الذي يسعى إلى تأويل النص الديني تأويلاً عقليًا.

ولعل هذا النهج التوفيقي عند فيلون يقوم في الأساس على اعتقاده بأن الحقيقة واحدة وهو في بحثه عن هذه الحقيقة الواحدة لا يرى فرقًا جوهريًا بين الطريق الديني والطريق الفلسفي، وإنْ كان يعتقد أنَّ الدين هو الأصل، وأنَّ الفلسفة ينبغي أن تكون شارحة ومفسرة له![2].

إنَّ "فيلون" كان على حد تعبير يوسف كرم: [لا يفصل بين الفلسفة والدين، ولكنه كان يتخذ الدين أصلاً ويشرحه بالفلسفة بل إنه يقارن بين بعض الأفكار اليونانية، وأقوال التوراة معترفًا للفكر اليوناني بالابتكار والعبقرية] [3]، وبناءا عليه بإمكاننا أن نقول أن المنهج التوفيقي عند فيلون قد أقامه على أسس أهمها:-

1- البرهنة على أن طابع الدين لا يختلف عن طابع الفلسفة "فالدين حق والفلسفة حق والحق لا يعارض الحق وكل ما بينهما من فارق هو أن الدين أكمل وأتم"[4] من الفلسفة.
2- تأويل مصطلح ديني بمصطلح فلسفي أو بشرح النصوص الدينية في التوراة في ضوء النظريات والنصوص الفلسفية[5].

وهذه الأسس هي التي عرف بها بعد ذلك طابع التفلسف الإسلامي القائم على التوفيق بين الدين والفلسفة[6].

---

(1) مجدي الكيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ 98، 99. "بتصرف".
(2) المرجع السابق. نفس الصفحة.
(3) يوسف كرم. مرجع سابق. صـ248.
(4) عبد الرحمن مرحبا. من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. صـ220 – 221. منشورات عويدات بدون تاريخ.
محمد محمود أبو قحف: مدرسة الأسكندرية الفلسفية التاريخ الحضاري والحوار الثقافي بين الفلسفة والدين. صـ80. مرجع سابق
(5) محمد محمود أبو قحف: مدرسة الأسكندرية الفلسفية التاريخ الحضاري والحوار الثقافي بين الفلسفة والدين. صـ80.
(6) راجع في ذلك د/محمد السيد نعيم، ود/عوض الله مجازي في الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية. صـ180 – 185. ط 1959م. ط الثانية.

2) التأويل الرمزي أو المجازي:-

إنَّ من يطلع على آراء فيلون يجد أن تفكيره يتسم بسمة خاصة فتفكير فيلون لا يظهر لنا بطريق مباشر بل يظهر دائمًا في شكل تأويل نصوص التوراة، وهذا التأويل كان شائعًا في عصر فيلون فكان يهود الأسكندرية يشرحون التوراة شرحًا رمزيًا على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا اليونانية وعبادات الأسرار[1].

يقول يوسف كرم: التوراة في جملتها تاريخ بني إسرائيل وما أصابوا من نعم حين كانوا يرعون شريعة الله وما عانوا من نقم حين كانوا يعصونها فقالوا إنها تمثل قصة النفس مع الله تدنو النفس من الله بقدر ابتعادها عن الشهوة فتصيب رضاه، وتبتعد منه بقدر انصياغها لشهوة فينزل بها سخطه، وكانوا يؤولون الفصل الأول من سفر التكوين[2] مثلاً بأن الله خلق عقلاً خالصاً في عالم المثل هو الإنسان المعقول، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً أقرب إلى الأرض هو (آدم)، وأعطاه الحس "وهي حواء" معونة ضرورية له فطاوع العقل الحس وانقاد للذة "الممثلة بالحية التي وسوست لحواء" فولدت النفس في ذاتها الكبرياء "وهو قابيل" وجميع الشرور وانتفى منها الخير وهو "هابيل"[3]، وماتت موتًا خلقيًا. وعبور البحر يؤول بأنه رمز لخروج النفس من الحياة الحسية وسبعة أغصان الشمعدان بأنها رمز للسيارات السبع والحجران الكريمان اللذان يحملهما الكاهن الأكبر بأنهما رمز للشمس والقمر، ولنصفي الكرة الأرضية والآباء الذين يعود إليهم إبراهيم بأنهم رمز للكواكب أو للعناصر الأربعة والفصح رمز لترك النفس للجسم وشهواته، وشجرة الحياة في الفردوس الأرضي رمز لأعم الفضائل وهي الطيبة، واقتران إبراهيم بسارة رمز لاتحاد الإنسان الصالح بالفضيلة[4].

واستعمل فيلون هذه الطريقة لتأويل قصص التوراة ذلك أنه من أغراض المجاز الأساسية تحويل أشخاص قصص التوراة إلى نحو حسن أو سيء من أنحاء وجود النفس وعلى ذلك نرى قصصاً لا يمكن تفسيرها إن أخذت حرفياً، لكنها تجد معناها الواضح حينما تدار فتجعل قصصاً داخلياً لحالات النفس الإنسانية، فقصة الخليقة من مبدئها حتى ظهور موسى تمثل لنا تقلب أو تبذل النفس الإنسانية، وهي

---

(1) إميل بريهيية. الآراء الدينية. صـ61، مصطفى النشار. مدرسة الإسكندرية. صـ 59، يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ248.

(2) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ248.

(3) أي أنه يرمز إلى قابيل بالشر والدهاء، وهابيل بالحكمة والهدوء. راجع: مجدي أحمد كيلاني فيلون السكندري. بين الفلسفة والدين. صـ264، 265.

(4) يوسف كرم. مرجع سابق. صـ248.

في أول الأمر غير مكترثة بالأخلاق ثم ملتفة ثانياً حول الرذيلة، وأخيراً حينما لا تكون الرذيلة غير قابلة للشفاء راجعة تدريجيًا إلى الفضيلة وفي هذه القصة نجد أن كل مرحلة ممثلة بشخصية فآدم "هو النفس التي لا إلى الفضيلة ولا إلى الرذيلة نراه يخرج من هذه الحالة بالإحساس "حواء" وهذه بدورها تغويها اللذة والسرور "الحية" وبهذا تلد النفس العجب "قابيل" مع كل ما يتبع ذلك من سوء، ومن ثم نجد الخيّر "هابيل" يخرج من النفس ويبتعد عنها ثم أخيرًا تموت في الحياة الأخلاقية ولكن حينما لا يكون الشر غير قابل للشفاء، فإنَّ بذور الخبر التي في النفس يمكن أن تنمو بسبب اللأمل والرجاء "اينوس" واللذة "إدريس" ينتهي الأمر بالعدالة "نوح"، ثم بالتطهر التام رغم السقوط والانتكاس المتكرر "الطوفان"[1]، وذلك بدحض ما يراه بعض الباحثين من أن التأويل عند فيلون غير مسبوق لدى اليهود[2]، فالتأويل عند فيلون ابنًا شرعيًا للحركة التأويلية السابقة عليه[3]، ولكنها لم تكن بنفس الجرأة التي قام بها فيلون.

وقد استخدم "فيلون" التأويل الرمزي لنصوص الكتاب المقدس لكي يجعل الشريعة الموسوية اليهودية شريعة عامة للناس كافة لا ترتبط بمكان دون مكان أو زمان دون زمان[4].

وقد كان يعتقد أن اليهودية دين عالمي قادر على جذب كافة الناس من البرابرة والإغريق، وكافة البشر في شرق العالم وغربه وسائر العالم المأهول بالسكان ولكن لم يحقق الدين اليهودي هذه العالمية بسبب التخلي عن بعض معتقداته وطقوسه الجوهرية[5].

ومع ذلك فإن هدفه الأول الدفاع عن العقيدة الموسوية ضد من اتهموها بالأساطير محاولاً تخليصها من كل طابع سياسي وتحويلها إلى شريعة أخلاقية، وكان يرى أن كل يهودي اسكندري يهودي بالدين وليس بالجنسية كما كان يرى أن كل يهودي بعد التشتت يجب أن يكون مواطناً في البلد الذي يقيم فيه[6].

---

(1) اميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون السكندري . مرجع سابق. صـ69، 70.
(2) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. مرجع سابق. صـ 60، 61.
(3) عقد بريهيية فصلاً بعنوان "التأويل المجازي لدى اليهود قبل فيلون).
(4) أميرة حلمي مطر. الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها. صـ391. ط دار قباء للنشر والتوزيع 1990م.
(5) مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ 6،7. "بتصرف".
(6) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ61. "بتصرف".

تقول الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية استبعد "فيلون" من اليهودية كل طموح سياسي، وقال أن اليهودي يهودي دينا لا جنسية، ويجب عليه أن يكون مواطنًا في البلد الذي يقيم فيه، ونقل الوعود الإلهية الواردة في التوراة لإبراهيم ونسله من بعده بخيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة وبسيادة الشريعة على العالم، وحتى التئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم يؤله بمعنى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعدما تحدثه الرذيلة من تشتت، والمسيح عنده بمثابة الملك الفيلسوف عند الأفلاطونيين والرواقيين بفرض سلطانه بصفاته ليس غير[1].

ولذلك لم يكن فيلون ينتقد مطلقاً أي وضع من الأوضاع التي يمكن أن تكون عليها الحكومة، وكان كل هاجسه هو الرغبة في حكومة قوية تستطيع حماية حقوق اليهود.

(1) عبد المنعم الحفني. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. مرجع سابق. صـ161.

المبحث الرابع
فلسفة فيلون الإلهية

لا شك أن فلسفة فيلون غنية في أبحاثها بحيث شملت الحديث عن الإلهيات فالإله عنده هو نقطة البداية التي ينبغي أن يبدأ فيها من أراد إدراك حقيقة الوجود والعالم عنده.

فكيف يتصور فيلون الإله وعلاقته بالعالم[1].

يبدأ فيلون فلسفته الإلهية بالحديث عن الله (ﷻ) على النحو الآتي "فالله هو الكائن الجوهري في العالم وهو كائن غير مجسد أزلي سرمدي يجل عن الوصف، في وسع العقل أن يدرك وجوده، ولكنه لا يستطيع أن يخلع عليه صفة ما؛ لأنّ كل صفة تعني التحديد، والذين يتصورونه في صورة بشرية إنما يفعلون ذلك لتقريبه من خيال البشر الحسي والله موجود في كل مكان، وهل ثمة مكان يستطيع الإنسان أن يجده وليس الله فيه، ولكنه ليس كل شيء"[2].

وقد وصفه بصفات كمالية من الوجود والملك والتصرف في العالم، على سبيل المثال، فالله كما يقول فيلون: "أبا للعالم وملكه"[3].

فالله هو الوجود الخالق الحر الذي لا يشغل فراغاً أو مكاناً لأنه هو نفسه خالق المكان بل إنه بالأحرى يحوي في ذاته كل الأشياء.

ومع ذلك فهو سامٍ سموًا مطلقًا ويفوق في سموه الخير بالذات والجمال بالذات إنه مملوء من نفسه ومكتفٍ بذاته، وهو كائن لا نهائي بسيط فلا يتركب من جسم ونفس أو من هيولي وصورة وهو أزلي غير متغير وهو الواحد؛ لأنَّ طبيعته بسيطة غير مركبة وليست كطبيعة غيره من المخلوقات أنه هو الخبر الأعظم وهو الشمس المعقولة وهو المبدأ الأول للوجود متصف بكل الكمالات باعتباره العلة الغائبة لكل الأشياء ومصدر كل كمال نجده في الأشياء المخلوقة[4]، فهو مفارق للعالم خالق له معني به لا يدركه الفعل وكل ما ورد في التوراة من تشبيه يجب تأويله بهذا الاعتبار فالله ليس إله إسرائيل فحسب وإنما هو الموجود حقاً

(1) مصطفي النشار. مدرسة الإسكندرية الفلسفية.- مرجع سابق. صـ62.
(2) ول ديورنت قصة الحضارة. جـ11/103 - 104.
(3) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ62.
(4) نقلا عن مصطفى النشار مدرسة الأسكندرية . صـ62. "بتصرف" Philo: op. Cit., pp. 200 – 202.

والعلة الأولى وأبو العالم ونفسه وروحه[1]، وقد يتضح لنا مما سبق أن فيلون في تصوره للذات الإلهية:-

أ) يجرد الذات الإلهية من الصفات ويستبعد مفاهيم عن التحديد والتعيين والحيز والمكان والفراغ للذات الإلهية فالله منزه عن كل ذلك.

ب) التأثر الواضح بالفلسفة اليونانية واللاهوت اليهودي، حيث استخدم تعبيرات أفلاطون المشهورة، الشمس المعقولة، والخير الأول، وأفضل الكائنات "إن فيلون يستلهم المذهب الأفلاطوني بينما لا يفضل الطابع المنطقي والطابع الأدبي والمعنوي.... فهو "أي الله" في رأي أفلاطون فكرة الخبر وفي رأي فيلون هو أيضاً أفضل الكائنات أو الخبر الأول، وباصطناع فيلون الاستعارة التي توجد في الجمهورية يعمل من الإله "شمس الشمس" أي الشمس المعقولة للشمس الحسية، الإله في هذا المعنى يبقى بالإجمال أول المثل وأنه بهذه الصفة نجده في نفس النص "معنى الفضيلة" و "نموذج القوانين" وهو الذي يسمى أحياناً "فكرة أو مثالاً" ورؤية الله كما وصفت بما يحوطها من انبهار تنبع عن قرب رؤية مثال الخير، وبهذا الطابع أو الخاصية ترتبط قائمة الصفات التي تنفي عن هذه الفكرة أول المثال الأسمى كل تركيب، فالإله هو "طبيعة بسيطة دون أي مزاح دون تركيب"[2].

ج) إن فيلون كما يقول إميل بريهيية: كيف يمكن أن تتحد في تفكيره التحديدات المجردة غاية التجريد للطبيعة الإلهية حيث الله الذي يتحد أو يتوحد تماماً، وفكرة الموجود تبعد كل الصفات والتحديدات المحسة والمعنوية التي تنسب لله إزاء الإنسان عواطف وإحساسات أب أو قاضي وحكم.... هنا في رأي أغلب المفسرين يوجد تناقض لم يستطع فيلون أن يتخلص منه فبنى التمثيل اليهودي للإله الحي والإنساني الذي هو دائماً على اتصال بشعبه[3].

وإذا كانت طبيعة الذات الإلهية كما يرى فيلون سامية عالية فوق الحس والعقل وهو تناقض كما ذكرت، فكيف يمكن معرفته ؟ "أن المعرفة هنا لابد أن تكون ذات طابع خاص وقد لجأ فيلون إلى تأويل آيات الكتاب المقدس تأويلاً مجازيًا رمزيًا حتى يكشف الطريق إلى معرفة الله[4]، وقد اكتشف طرق المعرفة المختلفة في تأويله للآية القائلة "إن الله إلاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب" على أنها تشير إلى مصادر ثلاثة لمعرفة الله، هذه المصادر الثلاثة هي عبارة عن:-

---

(1) عبد المنعم الحفني. مرجع سابق. صـ161.
(2) إميل بريهيية الأراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري. صـ104.
(3) إميل بريهيية. مرجع سابق. صـ 103، 104.
(4) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ63.

1- العلم. 2- الطبيعة. 3- الزهد.

فإبراهيم رمز للعلم وإسحاق للطبيعة ويعقوب للزهد والأسماء الثلاثة هي من المصادر الثلاثة لمعرفة الله[1]، يقول فيلون: مبيناً طرق المعرفة "إن هناك **طرق ثلاثة:-**

أولاً: المجاهدة، والزهد وهو طريق المريدين، ويرمز لها بيعقوب.

والثانية: تعتمد على الدراسة والتعلم ويرمز لها بإبراهيم.

أما أعلى الطرق فهو طريق الأنبياء والكاملين فيتم بهبة إلاهية أو بنعمة إلاهية وهو طريق إسحاق[2]، وعلى ذلك نستطيع أن نصل إلى معرفة الله – تعالى – بالنظر في آثاره وهذه المعرفة ناقصة جدًا، ولذلك لابد من كائنات متوسطة بين الإنسان والله وذلك لأن النفس لا تستطيع أن تصل إلى معرفة الله – تعالى– دفعة واحدة فيلزمها أن تتدرج في صعودها إليه باعتبار أن غاية النفس هي الوصول إلى الله والاتحاد به لأن الله كائن فوق العقل وفوق الفكر فلا يمكن أن نعبر عنه ولا أن نصل إليه ولا أن ندركه إلا عن طريق الانجذاب[3].

لكن ما هي حقيقة هذا الانجذاب الذي عناه فيلون ؟

حقيقته أنه "حالة نادرة ليست في طوق أغلب الناس بل ربما كانت غير مقدورة لأحد من الناس باعتبارهم أناسًا فهل يجب أن يكون الناس جميعًا محرومين من كل الاتصال بالله؟!..... وقد يكون في الانجذاب مخاطرة أن ينتهي المتدين إلى دين فردي وداخلي ومن ثم إلى حذف كل الشعائر العملية وكل ما هو أساس الاتحاد السياسي لليهود"[4].

يبين لنا ذلك شارحا إياه د/ النشار فيقول "وهنا نلمح في التأويل الفيلوني لنص التوراة غموضاً لم يخفف منه سوى توضيحه لطريق معرفة الإله مستخدماً الاصطلاحات الفلسفية التي لا شك أنه استقاها من فلسفة أفلاطون ونظريته في المعرفة خاصة حينما تحدث عن أرفع أنواع المعرفة أي معرفة مثال المثل "مثال الخير" فهي معرفة لا يمكن أن تتم إلا بالحدس المباشر الذي هو تعبير عن الشوق اللامحدود إدراك الخبر في ذاته عبر مراحل يمر بها العارف الفيلسوف لا العارف المتصوف.

---

(1) عبد المنعم الحفني. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية.- صـ161.
ينظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية.- مرجع سابق. صـ249.

(2) أميرة حلمي مطر. الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها. [د.م]: دار قباء للنشر والتوزيع، 1990م. صـ .

(3) مصطفى النشار. مرجع سابق.- صـ63.

(4) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ 113، 114. مرجع سابق.

وفي ضوء هذا التمييز بين ما أسميناه لدى أفلاطون "العارف الفيلسوف" وبين "العارف المتصوف" يُمكن إدراك الفرق بين الطريقة الفيلونية ذات الملامح الصوفية الشرقية في معرفة الله وبين الطريقة الأفلاطونية القائمة على الحدث الفلسفي أو المعرفة الفلسفية، فإدراك الله عند فيلون يتم بتجربة باطنية داخلية أطلق عليها اسم "الانجذاب الصوفي" الذي هو في واقع الأمر حالة من الاستغراق في التأمل فيها تعرف الروح الله وقد هجرت نفسها وكل قواها إنها حالة عبادة الله المطلق وقد امتزجت فيها المعرفة بالعبادة وتخلصت الروح من كل علاقة بالعالم المحسوس والعالم المعقول معاً[1].

فالله حسب هذه النظرية هو إله تجربة باطنية[2].

(1) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ63، 64.

(2) إميل بريهييه. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. مرجع سابق. صـ113.

المبحث الخامس
الوجود في فلسفة فيلون

إن تصور فيلون للوجود فرع من العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية فالله " كما ذكرنا سابقا هو نقطة البداية في مذهب فيلون ويصفه بعدة صفات أهمها أن الله مفارق للعالم خالق له معني به، وهو العلة الأولى الأكثر سمواً والمتجلي في كل الوجود والمدرك لكل الأشياء وهو اللامتناهي في مقابل المتناهي.. وهو كامل بذاته مكتف بذاته ثابت غير قابل للتغيير ولا يحتاج إلى شيء آخر على الاطلاق، ولهذا فإن كل الأشياء تنتمي إليه ولكنه لا ينتمي لأي شيء على الإطلاق[1].

وكما ذكرت عند الحديث عن فلسفة فيلون الإلهية أنه يتابع أفلاطون في تسمية الله بشمس الشمس أو الشمس المعقولة والخير الأول[2].

أما عن خلق الله – تعالى – للعالم، هل مخلوق من العدم أم من مادة سابقة عليه، هذا ما يوضحه لنا فيلون في قوله "إن علية الله نوعان: مطلقة، ونسبية فأما المطلقة: فهو أنه الخالق من العدم.. وأما النسبية فهو أنه الصانع الذي خلق الأشياء ولم تكن من قبل[3].

ولكن نتيجة تنظيم الله لمادة سابقة قد أوجدتها من قبل الكائنات الوسطية، يوضح ذلك الأستاذ يوسف كرم فيقول "أن الله خلق العالم المعقول من العدم، والنفوس الإنسانية قد ولدها الله كما يلد العقل أفكاره أما العالم المحسوس فقد وجد نتيجة تنظيم الله لمادة سابقة قد أوجدتها من قبل الكائنات الوسيطة"[4]

ففي نظر فيلون ثَمة مخلوقين مادة العالم وهي سابقة على وجوده، وقد خلقت من العدم، ثُمَّ العالم، وقد خلق من المادة السابقة والعالم في نظر فيلون مخلوق طبقاً للإرادة الإلهية[5].

أي أن العالم في نظره حادث وليس قديما كما يزعم الفلاسفة، وهو بهذا يشابه في رأيه فيلسوف الإسلام الكندي الذي يرى أن العالم حادث.

ويعلل فيلون هذه التفرقة بأن الخلق صادر عن قدرة الله وعن خيريته فلا يخلق من الله وحده إلا الموجود الكفيل بقبول هذه الخيرية[6].

---

(1) يوسف كرم. مرجع سابق. صـ249 – 250.
(2) راجع المبحث الخاص بالحديث عن فلسفة فيلون الإلهية من البحث.
(3) عبد المنعم الحفني. موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية. صـ 166- القاهرة: مكتبة مدبولي، [د.ت].
(4) يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية صـ 250
(5) يوسف كرم. مرجع سابق. صـ 249، 250.
(6) مصطفى النشار. مدرسة الإسكندرية.- مرجع سابق. صـ64.

يقول د/ النشار: "تتشابه نظرية الخلق عند فيلون بنظيرتها عند أفلاطون وإن كان يشوبها أحيانًا طابعًا رواقيًا ففيلون قد استخدم لغة رواقية حينما عبر عن علاقة الإله الصانع بالعالم وتكوينه له[1].

وهذا ما حدا برجل باحث مثل د/ كيلاني أن يقول تعليقا على نص لفيلون جاء فيه: "الكلمات التي استخدمها فيلون لوصف الصانع جاءت مطابقة من حيث المعنى لوصف أفلاطون[2].

" يحدد فيلون مبدأين للكون هما المبدأ الفعال والثاني المنفعل وهذ القول يذكرنا بمذهب الرواقيين في خلق العالم"[3].

فالعالم من وجهة النظر الرواقية "حي له نفس حار هو نفس عاقلة تربط بين أجزاءه وتؤلف منها كلا متماسكا فالحرارة أو النار هي المبدأ الفاعل والمادة المبدأ المنفعل، كانت النار في الخلاء اللامتناهي ولم يكن عداها شيء وتوترت فتحولت هواء وتوتر الهواء فصار ماء وتوتر الماء فصار ترابا وانتشر في الماء نفس حار ولد فيه "بذرة مركبة" وهي قانون "لوغوس" بمعنى أنها تحوي جميع الأجسام وجميع بذور الأحياء منطوية بعضها على بعض"[4].

ويقول أميل بريهييـة: "نستطيع ان نلحظ اللغة الرواقية من ثنايا الجمل المأخوذة عن طيماوس لأفلاطون مثلاً بدلاً من القول مع أفلاطون بأن "الديمورج" في سبيل تكوين العالم يستعمل كل عنصر من العناصر الأربعة على التمام نرى فيلون يقول بأنه قد نظم المادة في مجموعها، ومن المعروف أن المادة يراد بها هنا كما عند الرواقين العناصر الأربعة مختلط بعضهما ببعض والتعبير في جملته رواقي تماماً[5].

وكما ذكرت يرى فيلون أن خلق العالم عمل إرادي وليس عملاً اضطرارياً "فالله قد خلق العالم بطيبته وفضله وأنه يستطيع عمل الأضداد ولكنه أراد ما هو خير"[6]، وأن خير الموجودات فقط هي التي يمكن أن توجد عن الله مباشرة وعن الكائن الأخير الذي يعتبر وسيطاً له، أما الكائنات الأخرى فلا تكون عن الإله مباشرة ولكن عن كائنات متوسطة أدنى منه، فالفكرة التي أدخلها فيلون في فلسفته

(1) مصطفى النشار مدرسة الأسكندرية مرجع سابق . صـ64.
(2) مجدي أحمد كيلاني فيلون بين الفلسفة والدين. صـ 81-82.
(3) مجدي أحمد كيلاني فيلون بين الفلسفة والدين مرجع سابق. صـ 81-82.
(4) يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية صـ 227
(5) إميل بريهيية. الآراء الدنية والفلسفية لفيلون. مرجع سابق. صـ117.
(6) إميل بريهيية. مرجع سابق. صـ118.

ليست هي فكرة الخلق أو الإيجاد عن عدم ولكن فكرة الخلق على درجات مختلفة وعن طريق وسطاء بينه وبين العالم[1].
وقد دعا فلاسفة اليونان هؤلاء الوسطاء آلهة وأبطالاً ودعاهم موسى ملائكة أي رسلاً فكان اكثر توفيقاً إذ أنهم يبلغون أومر الله إلى أبنائه ويحملون صلوات الأبناء إلى الله[2].

وهنا لابد من التساؤل هل كان فيلون يقول بالخلق من عدم، أم أنه مثل أفلاطون لا يؤمن بالخلق من العدم المحض.

يقول د/ النشار: "قد يبدو للكثيرين مفاجئة لأن ثمة اعتقاد شائع يرى أن أفلاطون لقوله: "الحدوث" و"الصانع" يميل إلى القول بالخلق من العدم هذا اعتقاد ثبت خطؤه حيث تبين لنا أن الخلق عند أفلاطون إنما يعني أن الصانع قد صنع العالم وأحدثه من مادة قديمة ومثال قديم[3].

ولكن البحث العلمي يثبت غير هذا الرأي كذلك على سبيل المثال " يوجد في رأي بعض الشارحين أو المؤلفين تعابير لا يمكن أن تفهم إلا بغرض الخلق عن عدم:- مثلاً قول فيلون: "الإله لم يخرج الأشياء من الظلمات إلى النور فقط، ولكن ما كان منهما غير موجود سابقاً قد خلقه أيضاً إنه لهذا ليس صانعًا فقط بل خالقًا أيضًا[4].

هكذا نرى أن المسألة مثار خلاف بين الباحثين والكاتبين قديما وحديثا، فالكلمة الإغريقية التي معناها (خالق) هي الكلمة التي استعملت في الشرح السبعيني للتوراة للدلالة على الخلق ومما يؤكد ذلك ما يقوله فيلون "إن الإله خلق مع الأجسام المكان والزمان"[5]، فالمادة جسم فيكون هذا دليل على الخلق من عدم، فالمكان والزمان قد خلقا مع الأجسام ومن ثَمَّ فإنه يرى أنه لم تكن هناك مادة سابقة وإلا فأين كانت؟ إن المكان والزمان لم يكونا موجودين!" [6].

والمعلوم أن الزمان تابع للأحداث على معنى أنه ليس هناك زمان مستقل بعينه فوجوده تابع للأحداث كما ذكرت.

---

(1) نفس المرجع السابق. صـ 119، 120.
(2) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. مرجع سابق. 250.
(3) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ64.
(4) إميل بريهيية. مرجع سابق. صـ119.
(5) نفس المرجع السابق. ونفس الصفحة.
(6) مصطفى النشار. مرجع سابق. صـ65.
وللاستزادة ينظر: مرجع فيلون السكندري بين الفلسفة والدين من صـ77 إلى صـ93.

وعلى ذلك نقول أن فيلون يقول بالخلق من العدم بل إنه يلخص مذهبه عن الله والخلق والعناية في قوله "إن موسى علمنا خمسة مبادئ هي أجمل وأعدل المبادئ على وجه الإطلاق وهي:-

1) أن الألوهية أبدية. 2) أن الله واحد.
3) أن العالم مخلوق وأنه له بداية وأن الذين يعتقدون ان العالم ليس له بداية وانه غير مخلوق ينكرون على الله كل قداسة وكمال.
4) أن العالم واحد كما أن صانعه واحد.
5) أن الله ينظر إلى كل شيء خلقه ويرعاه[1].

وخلق الله العالم في ستة أيام ولم تكُ هذه الستة؛ لأن الله يحتاج إلى هذه المدة لإتمام خلقه؛ لأنه قادر على أن يخلق الأشياء كلها في وقت واحد، أما إنه خلق العالم في ستة أيام؛ لأن مخلوقاته تحتاج إلى ترتيب والترتيب يحتاج عددا والعدد ستة بحسب قوانين الطبيعة هو أنسب الأعداد للخلق[2].

وهذا ما ورد في سفر التكوين حيث ذكر "فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً"[3].

ولقد رد الله تعالى على هذا الزعم – أعني زعمهم أن الله استراح في اليوم السابع - بقوله تعالى: **"وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ"**[4][5].

وهكذا فإن فيلون يميل إلى القول بالخلق من العدم وهو في ذلك متمشيا في رأيه مع الفرقة اليهودية التي صرحت بالخلق من العدم، ولكن هنا سؤال يطرح نفسه، لماذا قال بما سمى لديه الكلمة اللوغوس "الوسطاء" وما دور هؤلاء الوسطاء في عملية الخلق؟ وفي فلسفة فيلون عموماً هذا ما نتحدث عنه بمشيئة الله تعالى في الصفحات القادمة.

---

(1) مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. مرجع سابق. صـ 85، 86. "بتصرف يسير".
(2) نفس المرجع السابق. صـ 88، 89. "بتصرف".
(3) سفر التكوين الإصحاح الثاني 1-3 ط. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. بدون تاريخ.
(4) سورة ق: الآية (38).
(5) يراجع رداً على ذلك: فتحي محمد الزغبي. تأثر اليهودية بالأديان الوثنية. صـ568- 572. ط دار الآفاق العربية. ط أولى 2013م.

المبحث السادس
الكلمة "اللوغوس أو اللوجوس" والوسطاء في فلسفة فيلون

إن الفكرة الأساسية في فلسفة فيلون السكندري في الذات الإلهية أن الله خالق للعالم بما فيه من معقول ومحسوس فالله "هو الكائن الجوهري في العالم وهو كائن غير مجسد أزلي سرمدي يجل عن الوصف في وسع العقل أن يدرك وجوده ولكنه لا يستطيع أن يخلع عليه صفة ما، لأن كل صفة تعني التحديد، والذين يتصورونه في صورة بشرية إنما يفعلون ذلك بتقريبه من خيال البشر الحسي والله موجود في كل مكان، وهل ثمة مكان يستطيع الإنسان أن يجده وليس الله فيه!"[1].

وهنا نلمح التناقض في فلسفة فيلون فإذا كان الله هو الكائن المتعالي الذي ينأى عن الارتباط بالمخلوقات، فكيف أتم فعل الخلق؟ أليس فعل الخلق نقص ينبغي أن ننأى بالإله عنه؟

لقد كان هذا السؤال بالتحديد هو ما قاد فيلون إلى القول بالوسطاء [2].

حيث يرى فيلون أن الوسطاء طبقات الوسيط الأول هو اللوغوس أو الكلمة ثم الحكمة الإلهية ثم رجل الله أو آدم الله فالملائكة ثم القوات من الملائكة والجن النارية أو الهوائية التي تنفذ أوامر الله وأمل هؤلاء الوسطاء:-

اللوغوس "الكلمة" أو "اللوجوس".

اللوغوس أو "اللوجوس" يمثل بوصفه مخلوقاً مكانة وسطى بين الإله والعالم.

وينسب فيلون إليه مهمة تحقيق التوافق بين الأضداد ونشر الوئام والسلام والحب والوفاق بوصفه صانعًا للسلام وهو ليس العلة الأصلية للوجود بل هو مجرد أداة الله الخيرة التي خلق بها العالم إنه أعلى جميع الكائنات المتوسطة وهو الوسيط الأول يقول فيلون: "إن اللوغوس هو مبدأ الأضداد وليس كذلك الإله" [3].

"وهو فكر الإله المنطوق وهو نور فائض عن الله بل إنها كلمة الله العليا التي يقال لها نبع الحكمة، ولذلك يسمي فيلون اللوجوس بالإله الثاني الذي خلق الإنسان

(1) ول ديورنت. قصة الحضارة. مرجع سابق. مج6. جـ11. صـ104.
(2) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ65.
(3) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفة لفيلون. مرجع سابق. صـ141.

على شاكلته ويعد فيلون في هذا الجانب رائدًا ليوحنا الذي يقول في افتتاحية إنجيليه إن الكلمة كان إلهًا" [1].

يقول الإنجيل "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه" [2]. وبذلك يتضح لنا أثر فيلون في النصرانية.

بل إنَّ فيلون يستمد وصف اللوغوس أو الكلمة بالإله الثاني من عبارة وردت في سفر التكوين تقول "خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه" [3]، ويعني ذلك أن فيلون يعتمد في وصفه "اللوجوس" على الكتاب المقدس واللوجوس هنا هو حكمة الإله وكلمته التي أعطاها من أعلى قدراته وصفاته[4].

وقد قام احد الباحثين بملاحظة دقيقة في فلسفة فيلون فقال: "أن فيلون حينما يستخدم كلمة الإله بالتعريف" يطلقها على الإله وحينما يستخدمها بدون "التعريف" يطلقها على كلمة الإله اللوجوس [5]، وذلك اللوجوس من أهم صفاته عند فيلون.

"أنه أبدي خالد رغم أنه مخلوق" [6].

ولكن من الخطأ أن تفهم أن اللوجوس كان شريكاً للإله في الخلق أو متعاوناً معه في ذلك بل هو أداة بين يدي الإله استخدمها في عملية الخلق [7]، وليس في كل الخلق بل في كل ما هو مادي محسوس فقط "فلا يمكن أن يكون الله صانعة بصورة مباشرة وهنا يكون دور الوسيط فالعالم المحسوس نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة، إذ يرى فيلون أن الله حينما قال: "لتصنعن الإنسان على صورتنا ومثالنا" خاطب وسطاء ووكل إلهم صنع الجزء الثاني من نفسنا على النحو الذي صنع به هو الجزء الروحي لأن الإنسان مزيج من خير وشر بما أن الله منزه عن الشر فكان لابد أن يكون من يصنع مبدأ الشر في الإنسان أي جسمه كائن غير الله"[8].

---

(1) مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري. بين الفلسفة والدين. مرجع سابق. صـ106.
(2) يوحنا الإصحاح الأول 1- 5.
(3) سفر التكوين. الإصحاح الأول. 28.
(4) مجدي أحمد كيلاني. مرجع سابق. صـ107.
(5) مجدي الكيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة و الدين . مرجع سابق. صـ107، 108.
(6) نقلاً من المرجع السابق. صـ109.
(7) نفس المرجع السابق. صـ112. "بتصرف".
(8) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. مرجع سابق. صـ205. "بتصرف".

ولقد تطورت فكرت اللوغوس التي قال بها فيلون بعد ذلك فقديماً قال هيرا قليطس[1]. باللوغوس على أساس أنه القوة العاقلة المنبثة في جميع أنحاء الكون ويعني به الروح الإلهي الظاهر اثره في الوجود الخارجي برمته من حياة وصيرورة وكون واستحالة أي أنه مبدأ الحياة والإرادة الإلهية التي يخضع لها كل ما في الوجود.

وتعني كلمة (لوغوس) في فلسفة أنكسا غوراس[2]. العقل الإلهي وهو بمثابة القوة المدبرة للكون أو الواسطة بين الإله والعالم كما أخذ اللوغوس عند الرواقيين معني العقل الفعال العقل الإيجابي المدبر للكون أو العقل الكلي الذي يمد العقول الجزئية بكل ما فيها من نطق وعلم، ولقد ميزَّ الرواقيون بين العقل الكائن أو العقل بالقوة وبين العقل الظاهر أو العقل بالفعل.

وقد استخدمت كلمة لوغوس في الفلسفة اليهودية القديمة بمعنى كلمة الله التي من أهم آثارها الخلق وعندما امتزجت اليهودية بالفلسفة الإغريقية أصبح معناها العقل الإلهي وبذلك يصف فلاسفة اليهود كلمة الله أنها حافظة للكون مدبرة له وبأنها مصدر الوحي والنبوة ومصدر الشرائع وقد أشار إليها اليهود تحت اسم "ممرا" التي لزمة عنها أفكار الخلق والوحي والعناية[3].

ولقد تأثر فيلون في تفسيره للوغوس أو الكلمة بالمذهب السابق عليه فعن هيرا قليطس أخذ الفكرة القائلة "أن اللوغوس قانون الأضداد الذي يكسبها توازناً وانسجاما ووحدة، وبذلك جعل اللوغوس بمثابة قاسم أي بواسطته يقسم الله الكائنات فيميز بعضها عن بعض ويحفظ في الوقت ذاته النسبة الثابتة بينها"[4].

كما تأثر فيلون بأفلاطون في نظرية الصور الأفلاطونية ويتضح ذلك من قوله: "إنه لكي يقوم اللوغوس بمهمته الرئيسية فيجب ألا يكون قوة مادية بل قوة

---

(1) هيرا قليطس. فيلسوف يوناني عاش. 475- 540 ق. م.
ينظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. مرجع سابق. ص27-

(3) أنكسا غوراس فيلسوف يوناني عاش (500 – 428) ق. م. يوسف كرم. مرجع سابق. صـ41.

(4) ماهر عبد القادر محمد،و حربي عباس عطيتو. اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. صـ52. بتصرف. نشر أوريتال بالأسكندرية. ط 2011م.

(4) أميرة حلمي مطر. صـ392. مرجع سابق. وقارن. ماهر عبد القادر وحربي عباس عطيتو. مرجع سابق. صـ52.

عاقلة ومعقولة لذلك نجد فيلون في نهاية الأمر يحيل اللوغوس الرواقي إلى معقول أفلاطوني[1].

كذلك تأثر فيلون بالمذهب الفيثاغوري المحدث القائل بأن العالم ينقسم إلى سبعة أشياء أولها السماء وآخرها النور ولكنه استبدل بهذا النور اللوغوس فاللوغوس هو القوة السابقة المتوسطة ين الله والعالم" فالعالم المعقول مركب من سبق حدود مبدؤها السماء ثم الأرض والهواء والفراغ والماء والنفثة والنور والحد الأخير وهو النور هو الشمس المعقولة..... والشمس المعقولة هي قريب من مثال الخير الأفلاطوني وأن الخير هو دائماً عند افلاطون تقليد للوغوس وليس اللوغوس نفسه"[2]، واللوغوس هو الحد السابع الذي يفصل بين القوى الست الإلهية[3].

وقد وضح تأثر فيلون بالرواقية حين قسم اللوغوس إلى قسمين:-

1- اللوغوس الباطن أو النفسي.

2- اللوغوس الخارجي أي التلفظ والنطق.

وهذان النوعان يوجدان في الإله كما يوجدان لدى الإنسان، فاللوغوس في الله إماالوغوس باعتباره العقل الإلهي نفسه أو اللوغوس باعتباره كلمة الله[4].

وبالطبع فإن بين هذين النوعين ارتباطاً وثيقاً فأفكار العقل الإلهي وكلمته إنما يوحى بها إلى نبي، ومن ثم فإن الناموس الإلهي أو الكتب المقدسة وهي هنا "أسفار موسى الخمسة" إنما هي كلمة الله وهي القوة الموجهة للعالم وهي الفلسفة الحقيقية والمصدر الأول لينابيع المعرفة والحكمة باعتبارها الكلمات الخالدة التي لا تفنى.

أما فيما يتعلق باللوغوس عند الإنسان فيرى فيلون أن اللوغوس الباطن أو الكلام الباطن باعتباره التفكير والتأمل هو الأفضل لأن التعبير عنه في الكلام الخارجي الملفوظ به غير مناسب للعبادة الحقيقية ولذلك نجد أن النبي الحقيقي يكبح جماح لسانه[5].

---

(1) عبد الرحمن بدوي خريف الفكر اليوناني. مرجع سابق. صـ98، 99.
(2) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ131. "بتصرف".
(3) نفس المرجع السابق. وننفس الصفحة.
(4) فلسفة اللوغوس. صـ46،54. نقلاً عن مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ66.
(5) نفس المرجع السابق. ونفس الصفحة.

يقول د/مجدي الكيلاني: "يناقش فيلون في كتابه "عن خلق العالم" الصفات الهائلة للإنسان من منظور أن عقله إله بالنسبة له وكأنما يريد أن يربط بين قيمة العقل في الإنسان وقيمة اللوغوس كعقل إلهي[1].

وفي ذلك يقول فيلون "لا شيء على الأرض أشبه بالإله من الإنسان"[2]، فعقل الإنسان يحتل في الإنسان مكانة تشبه المكانة التي يحتلها الإله الأكبر في العالم بأسره إذ لا تدركه الأبصار بينما يدرك كافة الأشياء[3].

ولا شك أن هذا التقسيم الذي قسمه فيلون للوغوس يجده بعينه هو التقسيم الوارد لدى الفلسفة الرواقية.

"وهي ملاحظة تستلفت النظر إلى فيلون فقد ضرب المذاهب الفلسفية بعضها ببعض واقتطف من كل واد زهرة نسبها لنفسه وأحاط نفسه بسياج الرمزية وظنها مانعة له من التقول عليه، ولكن الحقيقة ما فعله لم يكتب له السلامة إذ تبين حقيقة مقصده وخفايا نواياه"[4].

وإذا كان فيلون يرى أنَّ اللوغوس الإلهي هو الذي يربط أجزاء العالم المختلفة فليس هو القوة الخالقة فحسب ولكنه القوة الحاكمة وصاحب السيادة، وبناءا عليه نستطيع القول أن فيلون غامض في نظريته عن اللوغوس فتارة يعتبره قائماً بذاته متميزاً عن الله وتارة أخرى يجعله مجرد قوة من قوى الله المتنوعة أو صفة من صفاته وتخلص من ذلك كله إلى أن اللوغوس عند فيلون أقرب إلى المجاز الخيالي أو الشعري أكثر منها حقيقة عقدية متسقة مع ما جاء في اللاهوت اليهودي

إنه الاضطراب الفكري نتيجة التوفيق أو إن شئت فقل التلفيق بين الدين والفلسفة، فالدين وحي إلهي منزل يجب أن يحتفظ له بقدسيته ونزاهته بعيدا عن أفكار البشر

كما انه لم يصل إلى حل حاسم يفيدنا في معرفة إن كان اللوغوس الإلهي هو كائن قائم بذاته متميز عن الله أم هو العقل الإلهي أو قوة من قوى الله أو صفة من صفاته.

لكن يبدو أن اللوغوس عنده هو نفس اللوغوس عند الرواقيين وكل ما هنالك هو أن اللوغوس عند فيلون غير جسمي[5] ويبين ذلك الاضطراب والتناقض في

---

(1) مجدي أحمد كيلاني. فيلون بين الفلسفة والدين. صـ105.

(2) نقلاً عن المرجع السابق. صـ105. Philo. DeopiFicio Mundi, 69 FF.

(3) مجدي أحمد كيلاني. مرجع سابق. صـ105، 106.

(4) محمد حسين موسى، ومحمد السيد شحاته. إطلالات فكرية على فلسفة العصور الوسطى الأوربية. صـ249، 250. ط1421هـ/2000م.

(5) يراجع: ماهر عبد القادر. وزميله. مرجع سابق. صـ53. وقارن. إميل بريهييه. الآراء

أقوال فيلون، د/ الغزالي وزميله فيقولان: "ظلت سمة الاضطراب على أقواله واضحة حتى كاد أن يقضي فكره بين الدارسين والمتأملين ولا شك أن الذي منع كثيراً من الباحثين من نقده **أمور:**

أولاً: البعد الزمني الذي أعطى النظرية الشكل الأسطوري الخيالي.

ثانياً: حياكة وأحكام نسج النظرية في أكثر من مؤلف.

ثالثاً: الصياغة الفلسفية المنخورة التي هي أشبه بالسوفسطائية في معناها ومغزاها، وبالرغم من هذا وغيره فلقد أوقفنا على استمداد واضح من الفلسفة اليونانية وأعطانا صورة للكلمة أضافها فيما بعد للنصرانية[1].

وإن كنت أرى أن قولة بالكلمة هي العقل الصادر عن الإله بالانبثاق أشبه بنظرية الفيض أو الصدور أو العقول عند ارسطو، ولكن أقول إن ما قاله فيلون من اللوغوس والكلمة في فلسفته أحدث ثورة عقلية فيما بعد لدى النصرانية إذ أصبح اللوغوس في النصرانية هو ابن الله وصورته وتشخصت الكلمة في صورة المسبح الذي به ظهر كل شيء إنه أول الموجودات.

ويكاد يتفق مفهوم اللوغوس في إنجيل يوحنا مع ما ذكره فيلون حيث يقول الإنجيل " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيرة لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه"[2].

ويقول أيضاً "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءً نعمة وحقاً"[3]، بينما فيلون لا يرى الكلمة متجسده كما ذكر يوحنا، ولكن ذلك لا ينفى أثره في النصرانية.

وليس اللوغوس وحده الوسيط بين الإله والإنسان عند فيلون كما سبقت الإشارة إليه، ولكن هناك مجموعة أخرى من الوسائط:

الوسيط الأول هو اللوغوس أو الكلمة ويليه الحكمة فرجل الله أو آدم الأول فالملائكة وأخيراً القوات وهي كثيرة وهي التي تنفذ الأوامر الإلهية[4]، تتناولها على الوجه الآتي:

1) الحكمة الإلهية:

الدينية والفلسفية لفيلون. صـ121- 157.

(1) يراجع مؤلفيهما إطلالات فكرية على فلسفة العصور الوسطى الأوربية. مرجع سابق. صـ251.

(2) يوحنا الإصحاح الأول (1- 5).

(3) يوحنا. الإصحاح الأول 14.

(4) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ250.

يرى فيلون أن اللوغوس والحكمة الإلهية مفاهيم متبادلة والحكمة مثل اللوغوس تقسم الأشياء إلى أضداد متعارضة إنها تقوم بدور القاسم وكما أن هناك لوغوس سماوي وآخر أرضي فتوجد حكمة سماوية وحكمة أرضية تعد تقليداً لها وفي توالد الفضائل تجد الحكمة[1] والحكمة زوجة الإله ومنها بواسطة اتصال الإله بهما ولد العالم "والد يمورج" الذي صنع هذا العالم هو أيضاً أب الخليقة الله وقد اتحد بها بالحكمة بذر الصيرورة ولكن لأعلى مثال الإنسان إنها وقد تلقت البذور الإلهية ولدت في الآم كاملة ابنها الوحيد العزيز هذا العالم والحكمة الأم تسمى أيضاً فضيلة الإله إنها مع هذا أم الأشياء جميعاً ولكن الأشياء الظاهرة بصفة خاصة[2]. ومن العجيب أن نرى اللوغوس في فلسفة فيلون أيضاً يتحد بعذراء كما يتحد هنا الإله بالحكمة وهذا هو ما في غاية الغرابة فاللوغوس كاهن كبير لا يمكن أن يقترن إلا بعذراء لا تصير امرأة مطلقاً بل على العكس قد تركت في علاقتها بقرينها أمور النساء[3].

وهذه الأسطورة وهي العذراء زوجة الإله أو اللوغوس المسماة حكمة ومعرفة أو فضيلة التي ولدت العالم مع الاحتفاظ ببكارتها أو عذرتها كانت متعارفة لدى الأرفيين.

ففي الكتابات الأرفية كانت "كوريه" عذراء غير مدنسة قد احتفظت بطهارتها في التكوين.

وقد وقع هذا التضارب في كلام فيلون عن الحكمة الإلهية سببه محاولة التوفيق أو التلفيق بين الفلسفة اليونانية والدين اليهودي وبين الاساطير اليونانية واللاهوت اليهودي[4].

2) إنسان الله "آدم"

من أهم الكائنات الوسيطة التي تحدث عنها فيلون هو إنسان الله أو الإنسان الإلهي، ولقد ميز فيلون بين الإنسان صورة الله أو الإنسان الإلهي المطابق للوغوس والإنسان المخلوق من الطين "ففي رسالة فيلون عن خلق العالم نجد الإنسان صورة الله يؤول على أنه عقل إنساني يقود النفس، وحسب فكرة أن الإنسان عالم مصغر لا يوجد شيء أشبه بالله في العالم من العقل في المركَّب

(1) ماهر عبد القادر وحربي عباس. اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. صـ54.
(2) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ164.
(3) المرجع السابق. صـ165.
(4) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ166.

الإنساني، فالإنسان الإلهي هو كإله داخلي في الإنسان يتأمل المعقولات وهذه هي الفكرة الأولى للإنسان الإلهي"[1].

أما الإنسان المخلوق من الطين فهو حساس يشارك في الصفة وإنه مركب من الجسم والروح ذكراً أو أنثى وإنه فان والإنسان الإلهي فكرة أو نوع معقول غير جسمي وليس ذكراً ولا أنثى وغير فاسد بطبيعته[2].

وإنا نلاحظ أن فيلون في حديثه عن الإنسان الأول يخرج عن نطاق الكتاب المقدس وبالتحديد سفر التكوين الذي تحدث عن قصة خلق الإنسان الأول.

يقول سفر التكوين "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"[3].

ويقول "فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً أو انثى خلقهم"[4] ويقول "وجبل الرب الإله آدم من تراب الأرض"[5]. فالكتاب المقدس تحدث عن خلق آدم دون أن يفصل أو يفرق بين إنسان إلهى وآخر طيني كما عند فيلون.

وما حدث هذا الاضطراب إلا بسبب التوفيق بين الدين والفلسفة التي هي فكر إنساني يصيب مرة ويخطئ مرات كثيرة، والواجب علينا أن نترك الدين بنصوصه الشريفة دون مساس أو توفيق بينه وبين آراء البشر.

(1) نقلاً عن إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ169.
(2) المرجع السابق. صـ169. "بتصرف".
(3) سفر التكوين. الإصحاح الأول/26.
(4) سفر التكوين الإصحاح الأول/27.
(5) سفر التكوين الإصحاح الثاني/7.

3) الملائكة:-

من أهم الوسائط التي تحدث عنها فيلون هي الملائكة وهي كائنات روحية غير جسمية ووظيفتها أنها تنفذ أوامر الله، ذلك لأن الله الذي يجاوز كل شيء علماً وقدره ليس بحاجة لها كي تعلمه بما لا يعرف، ولكن لأن التعساء المساكين كما يذكر فيلون بحاجة إلى لوغوسات وسطا[1].

فالملك إذن هو صوت أو آية وقائد مرشد يتنبأ بالمستقبل وله دوره الذي يقوم به خاصة في علم معرفة المستقبل وأن من رسالته البحث عن الروح الضالة المتحيرة ليعرفها من يجب أن تعبده[2].

4) القوى الإلهية:

تصور فيلون وسائط أخرى بين الله والعالم إلى جانب ما سبق وهي القوى الإلهية "وهذه القوى تكون طائفة جديدة من الكائنات المعقولة الوسيطة بين الإله والعالم المحسوس وأهم هذه القوى اثنان قوة الخير وهي القوة الخالقة والتي يتم بها الإيجاد، وقوة القدرة وهي التي بها يهيمن الله على العالم ويحكمه..... وبالإضافة إلى هاتين القوتين تكون قوة اللوغوس"[3].

لكن ما طبيعة هذه القوى؟ وما مدلولها؟ اختلف الشراح في ذلك "ففي رأي البعض أن فيلون أدخل في مذهبه فكرة هذه القوى ليوفق بين الحلول الرواقي والتنزه الواجب للإله..... وفي رأي آخرين لا ترجع نظرية القوى إلى ضرورة تفسير صلة الإله بالعالم ولكن إلى مفهوم الإله نفسه إن هذه القوى هي الصفات التي تحدد كل واحدة منها ذاته ولكن دون أن تستغرقها مطلقاً إنها تتميز عن الإله لا ذاتياً ولكن بفضل نقص عقلنا الذي لا يستطيع لضعفه الشديد أن يدرك الكائن الإلهي إلا من بعض نواحيه"[4].

ولقد رأي إميل بريهييه أن هذين الرأيين غير صحيحين[5] إلا جزئياً وإن اهتمام فيلون كان قبل كل شيء أخلاقياً ويختص بصعود الروح نحو معرفة الإله وهذا الصعود على درجات كثيرة فالذين لا يملكون القدرة على معرفة الإله

---

(1) رشدي حنا عبد السيد فلسفة اللوغوس. صـ53. نقلاً عن ماهر عبد القادر وزميله. اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. صـ55.
(2) ماهر عبد القادر، حربي عباس. مرجع سابق. صـ55.
(3) المرجع السابق. صـ56.
(4) إميل بريهيية الآراء والدينية والفلسفية. مرجع سابق. صـ188.
(5) نفس المرجع السابق. صـ188.

يتوقفون عند معرفة لوغوسه أما النفوس التي لا تستطيع إدراك الكلمة الإلهية فهذه النفوس تقف عند معرفة القوى الأدنى مرتبة من اللوغوس[1].

وكل هذه الوسائط تتوسط بين النفس الإنسانية والله وإلى جانب الله اللامتناهي يوجد العالم المتناهي عالم المادة ومصدر الشر الذي تحاول النفس الخلاص منه أما بالمجاهدة أو العلم أو بالنعمة الإلهية لكي تصل إلى الله وتتحد به وهذه هي الغاية من الإيمان في العقيدة اليهودية، وكذلك استطاع فيلون أن يقيم على أساس من إيمانه باليهودية نوعاً من الفلسفة أثرت على الفكر اليهودي بالأسكندرية"[2].

المبحث السابع
مذهب فيلون في الأخلاق والتصوف

أ) الأخلاق في فلسفة فيلون:-

ليس من المبالغة في شيء إذا قلت أن الأخلاق تحتل مكانة سامية في كل الأديان، كما أنه لا شك أن الأخلاق في فلسفة فيلون تحتل مكانة هامة وخاصة إذ أنها تأتي في إطار فلسفة دينية تعتمد في تعاليمها على الكتاب المقدس "العهد القديم" وفيلون يحاول جاهدًا أن يجعل الدين عنصراً أساسياً مؤثراً في نزعته الصوفية والأخلاقية.

يقول فيلون متسائلاً "ما الجدوى من عازف المزمار مهما كان أداؤه جميلاً إذا لم يعزف،.....وما الجدوى من عازف القيثارة إذا لم يستخدم قيثارته، وما الجدوى من أي صانع إذا لم يمارس صنعته إن الحركة هي الشرط الأول للخبرة وحتى المعرفة لا تكون مفيدة لمن يحصل عليها إذا كانت مجرد معرفة نظرية لا ترتبط بفعل أو ممارسة"[3].

إذ أن الطريق عبارة عن علم وعمل هذا لمن أراد أن يسلك الطريق ويصل إلى نهاية الشوط بذلك تتحقق السعادة، فبأحدهما دون الأخر لا يكمل الطريق ولا تتحقق السعادة ولذلك فأهم وسائل اكتساب الخبرة عند فيلون هو الممارسة وليس التعلم فقط والفضيلة يمكن إدراكها من خلال التعلم والممارسة وفي تعريف فيلون

---

(1) ماهر عبد القادر وحربي عباس . مرجع سابق. صـ57، وإميل بريهييـة. مرجع سابق. صـ188.

(2) أميرة حلمي مطر. الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها. مرجع سابق. صـ393.
وللاستزادة يراجع: ماهر عبد القادر وحربي عباس. اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. مرجع سابق.صـ57.

(3) نقلاً عن مجدي أحمد كيلاني. فيلون السكندري بين الفلسفة والدين. صـ277.

للفضيلة بأنها "وسط عدل بين إفراط وتفريط كلاهما رذيلة"[1]. هو في ذلك متابع ومتأثر بأرسطو بنظرية الوسط الأرسطية ويستخدم فيلون سفر الخروج ليؤكد على تأييده لمفهوم الوسطية حيث يحث الناس على أن يتبعوا الإله وأن يسيروا على الطريق المستقيم.

ويدعو فيلون في تأويله للآية "لا تدع العقل يميل إلى ما يوجد باليد اليمنى ولا إلى ما يوجد باليد اليسرى" فإنك بذلك تتجنب الإفراط والتفريط.

وأحسن طريق يمكن أن يسلكه الإنسان هو طريق الوسط لأنه الطريق الذي أعده الله للإنسان الفاضل[2]، وفي موضع أخر يقول فيلون "الميل إلى أي من الاتجاهين سواء الإفراط أو التفريط خطأ لأن في هذه الحالة لن يكون اليمين مدفوعاً بأكثر من اليسار"[3]، فالنصيحة الأخلاقية تكون باتباع الوسط العدل.

أما عن تقسيمه للفضائل إلى دنيوية وسماوية وأن الفضائل السماوية أو فضائل النفس هي الحكمة والاعتدال بينما الفضائل الدنيوية هي الصحة وسلامة الحس ومهارة اليد وقوة العضلات وما شابه ذلك وهو في ذلك التقسيم متأثر بأفلاطون.

"ويبدو تأثره في الأخلاق بالرواقية في انعطاف آرائه الأخلاقية إلى الزهد والتنسك واحتقار كل ما يتعلق بالإرادة والهوى، ولم تسلم هذه الأخلاق الفيلونية من التأثر باليهودية والروح الأفلاطونية إذ إنه كان يرى أن الحكمة ليست إلاهية من الإله يمنحها من يشاء كما أن مثله الأعلى لم يكن إنسانياً وأن هدف النفس التخلص من الجسم والحياة الأرضية والصعود إلى الإله في تأمل مفعم بالسرور والحب ويعتبر هذا التنسك والحماس في الاتصال بالإله تجديدًا من جانب فيلون لم يسبق إليه على هذه الصورة وهو الذي جعله جديراً بأن يعتبر طليعة للأفلاطونية الجديدة"[4]، فضلاً عن ذلك، فإن فيلون أفاض في الحديث عن الفضائل حيث ذكر فضائل إيمانية لم تكن موجودة لدى الفلسفة اليونانية واهتم بشروح الفضائل الكبرى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل..... إلخ.

ب) نزعة فيلون الصوفية.

قد أكد فيلون في فلسفته على ازدواجية الطبيعة الإنسانية وأقام فاصلاً بين الروح والجسم أو بين المعقول والمحسوس في الإنسان.

---

(1) نفس المرجع السابق. صـ280.
(2) نفس المرجع السابق. صـ281.
(3) السابق. صـ 281.
(4) ماهر عبد القادر وحربي عباس. مرجع سابق. صـ60.

فغاية النفس عنده هي الوصول إلى الله والاتحاد به ومعرفتنا لله على أربع درجات:

1) معرفة ناقصة جداً يكتسبها المرء بالنظر في موضوعات الله والكثيرون من الناس يقفون عند هذه الدرجة.
2) معرفة ترقي سلم الوسطاء.
3) المعرفة التي يدرك بها أنَّ اللوغوس الوسيط الأعظم.
4) المعرفة التي تدرك الله ذاته وهذه الدرجة خاصة بأهل الكمال مثل موسى (υ)[1].

وأن الغاية من الفلسفة عند فيلون هي أن تكون مؤدية إلى الخلاص بالمعنى الديني أي تخلص المتناهي من حالة التناهي للوصول إلى حالة اللاتناهي وهو ما عبر عنه في المسيحية بفكرة الخلاص من الخطيئة.

(1) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. صـ251، وقارن أميرة حلمي مطر. مرجع سابق. صـ391.

وإذا كانت تلك غاية الفلسفة فكيف الخلاص؟

يقول فيلون "إن هناك طريقين يمكن أن يؤديا إلى الخلاص هما: 1- الشك، 2- التصوف

والطريق الأول يؤدي إلى الثاني، فإدراك المرء لذاته يجب أن يكون نقطة البدء في كل تفكير فلسفي، وحينما يبحث الإنسان في ذاته يجد أنه قابل لكثير جداً من الأخطاء فالحواس خادعة وهمية، والمعرفة اليقينية لا سبيل إليها.... وحينما ندرك أن هذا العالم وهم وأنه لا قيمة لأي شيء موجود به[1] فإن ذلك سيدفعنا إلى البحث عن وسيلة أخرى للخلاص.

وذلك يتم بأن يتجه الإنسان إلى التشبيه بالله ذلك أنه من أجل أن يتخلص الإنسان من الحال التي هو عليها أن يفني بنفسه في الله فلا يمكن أن يجد الخلاص إلا بالفناء في حضن الألوهية وأن هذا الفناء لا يتم إلا عن طريق التصوف[2].

ولقد رأى فيلون أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بإدراكه مباشرة؛ لأن الله يظهر أمام الإنسان مباشرة دون حاجة إلى وسائط ومن ثم فإن فيلون لا يعطي أي قيمة للمعرفة ذات الوسائط وإنما يريد أن يدرك الله مباشرة وهذا الإدراك المباشر لله يتم عن طريق التجربة الصوفية.

وفي هذا نرى مدى التأثر بالدين الذي يدعو إلى العبادة والتقرب إلى الله (Y) من أجل الوصول إليه، وفي ذلك يقول **د/أبو قحف** "تبدأ النفس الإنسانية رحلتها في العودة إلى مقام الألوهية بعد إدراك لزوال المحسوسات وبطلانها فتعكف على العبادة والنسك والتطهير وتنتقل من وسيط إلى آخر حتى تصل إلى الوسيط الأول "أي الكلمة" الإلهية ثم ترتقي بعد ذلك فتبلغ مقام الله بالذات وتتحد به فيكون علمها به هو عين اليقين الذي يصل إليه الصوفية العارفون في حال الجذب والاتحاد بالله وعلى هذا فإن الحكيم حينما يصل إلى هذه الحال يصبح عقلاً مفارقاً يكون بدوره وسيطاً جديداً منضم إلى طائفة الوسطاء التي ينبغي على النفوس الأخرى أن تعبر هي للوصول إلى الله بل يصبح العالم نفسه كانعكاس للنظام الإلهي وسيطاً آخر في طريق عبور النفوس إلى الله[3].

---

(1) ولعل في ذلك تأثر للفلسفة اللاحقين القائلين بالشك المنهجي واتخاذه منهجا للوصول إلى الحقيقة مثل الغزالي.

(2) عبد الرحمن بدوي. خريف الفكر اليوناني. صـ105، وانظر ماهر عبد القادر وحربي عباس. واتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. مرجع سابق. صـ58.

(3) محمد أبو قحف. مدرسة الأسكندرية الفلسفية: التاريخ الحضاري والحوار الثقافي بين الدين والفلسفة. صـ80. مرجع سابق.

وقد شرح لنا "فيلون" ذلك حيث حدد طريق الوصول إلى ربه سبحانه فيقول " الطرق المختلفة التي على أساسها تتحقق رؤية الله – تعالى– بها يسلك الإنسان طريق ربه والاتحاد به وأهمها التمرينات الزهدية التي تقتل شهوات الجسد ومطالبة الدنية والشعور بالانجذاب الصوفي والابتعاد عن الحواس والهروب من الأنا بالإضافة إلى التأمل ولزوم الصمت" (1)

ولقد حدد فيلون درجات ثلاث في الطريق الصوفيمن أجل الوصول إلى الله تعالى:-

الأول: عن طريق المجاهدة **والثانية:** تكون عن طريق العلم **والثالثة**: عن طريق اللطف الواهب للقداسة.

والدرجة الأولى هي أدنى الدرجات وأعلاها اللطف الواهب للقداسة والمرتبتين الأولى والثانية شأن المريدين والسالكين أما الثالثة فشأن الكمل(2)، وهي خاصة بالذين استحقوا العناية الإلهية مثل موسى وهذه المعرفة تأتي عن طريق الرؤيا أو الإلهام.

"فحياة الإيمان ليست امتداداً لحياة الإنسان العادية بل هي شيء آخر إنها تتطلب مثل النبوة تحولا داخلياً عميقاً يتيح للإنسان الوصول إلى الله عبر العالم المعقول الذي يعد وسيطاً يمتص المؤمن ويدخله في ذاته ولا يترك له شيئاً محسوساً إن حياة الإيمان إذا هي اتخاذ الانجذاب طريق للوصول إلى قوة عليا تحل محل الحياة التي نحياها"(3).

وقد علق بريهييه على هذه الحياة الروحية التي قال بها فيلون فقال: "هي ميراث من كتاب الموتى الذي اكتشف في المقابر المصرية القديمة ومما لا ريب فيه أنه قد دخل بين الثقافة المصرية وبين المذهب الفيلوني عدة مذاهب وسيطة مثل الأفلاطونية الرواقية ومن المعقول أن يكون للأفكار الأورفية أثر في هذا التركيب(4).

ويوضح لنا أثر الفلسفات السابقة عليه فيقول " إننا يجب أن نبحث عن العناصر الأساسية لهذا المذهب في كتاب الموتى وعلى الأخص في الفصل المتعلق بمشهد الحساب "(5).

---

(1) ماهر عبد القادر وزميله اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطى. مرجع سابق. صـ58.

(2) عبد الرحمن بدوي. مرجع سابق. صـ105 – 106.

(3) مصطفى النشار. مدرسة الإسكندرية. مرجع سابق. صـ71.

(4) إميل بريهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون. صـ3، 4.

(5) السابق. صـ113، 114.

هذا يدل دلالة قوية على تأثر فيلون بالفلسفات والحضارات الشرقية وخاصة الديانة المصرية القديمة، كما ظهر لنا ذلك في عبارات بريهييه السابقة وبهذا يصدق كلام "زيجرت" حين قال "إن اليهودي في الإسكندرية لم يلتق بأرسطو أو بزينون بل بالفلسفة الغامضة التي تناقلتها الأساطير الشرقية في ثنايا دياناتها الروحية"[1].

إنه الأثر الواضح على فيلون سواء بالفلسفات أو الديانات الشرقية السابقة على اليهودية، فنتج عن هذا التأثر أن أتانا بفلسفة دينية هي عبارة عن خليط من ديانة سيدنا موسى (ט)، وبقايا ديانات سماوية سابقة عليه، والله أعلم.

هذه هو منتهى مذهب فيلون الفلسفي الديني الذي حاول به أن يوفق أو إن شئت فقل يلفق به بين الدين والفلسفة محاولا بذلك أن يجعل من اليهودية دينا عالميا، وبهذا استطاع أن يقنع نفسه أنه قد حاول أن يجذب الفلسفة إلى الدين وأن يجعلها خادمة له بصرف النظر عن كونه أصاب أو أخطأ، لكنها المحاولة من هذا الذي حاول أن يخدم دينه من وجهة نظره

(1) مصطفى النشار. مدرسة الأسكندرية. صـ72.

الخاتمة

بعد هذا العرض والتحليل لفلسفة فيلون الإسكندري يمكننا أن نصل إلى عدد من النتائج:

❖ فيلون الإسكندري فيلسوف يهودي يحتل منزلة سامية ومكانة مرموقة لدى مفكري اليهود إلا أنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين على تاريخ مولده أو وفاته، ولكن من المؤكد أنه ابن مدرسة الأسكندية وأحد أعلامها البارزين، ولد في النصف الثاني من القرن الأول ق.م، ومات في النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

❖ تمتاز فلسفة فيلون بأنها فلسفة ملفقة تقوم على التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية بل وبقايا الديانات السابقة عليه مثل المصرية القديمة وغيرها، جاعلة الدين هو الأساس للفلسفة وليس العكس فالفلسفة عنده لا تقصد لذاتها وإنما من أجل بيان وتوضيح النزعة الدينية ولعل هذه الفكر هي التي عبر عنها القديس أوغسطين في قوله: "آمن كي تعقل" فالإيمان خطوة توجه العقل صوب الاتجاه الصحيح وعليه فالإيمان أولاً ثم المعرفة ثانياً وهذا ما عبر عنه بـ "إن لم تؤمن فلن تعرف".

❖ يتعصب فيلون لديانته معتقداً بأصالة الفكر اليهودي وتقدمه على أي فكر آخر، و سبق الديانة اليهودية على غيرها من الديانات والفلسفات الأخرى، وهذا ما عُرف بعد ذلك بنظرية التعصب الديني والتي ألقى بذرها فيلون الإسكندري.

❖ يحتل التأويل والرمزية مكانة هامة في فلسفة فيلون وهو أحد أعمدتها وهو من الركائز المهمة في فلسفته والتي انطلقت منها الفلسفات الأخرى بعده، بل هذا التأويل الذي وجد عند فيلون كان له صداه في الفكر الإسلامي وخاصة فلاسفة الصوفية[1].

❖ إن تصور فيلون للإله فيه قدر من الغموض أو التناقض فهو يجمع فيه بين رأيين:

الأول: كائن لا نهائي بسيط غير مركب متعال لا تربطه بالإنسان صلة، ولا تدركه سوى الأرواح المفارقة في حالة الجذب أو الخروج

الثاني: إله آخر ذو علاقات مستمرة ومتعددة، لاسيما مع الإنسان ذلك المخلوق الذي يحبه ويرعاه.

---

(1) حول الأثر اليهودي وخاصة فيلون في الأثر الإسلامي. راجع عبد الرحمن محمد المراكبي. التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه. صـ 92- 94.
وانظر محمد مصطفى علم التصوف. صـ192- 195. مرجع سابق.

يقول **د/أيوريان:** "إننا نجد عند فيلون قدراً من الغموض في تصويره للألوهية من حيث أنه يجمع في مذهبه بين تصورين للإله، إله ذو علاقات مستمرة ومتعددة لا سيما مع الإنسان، يحبه ويرعاه ويسانده، يثيبه، ويعاقبه، وهو إله ذو طابع سامي... وصورة أخرى لإله متعال لا تربطه بالإنسان صلة ولا تدركه سوى الأرواح المفارقة في حالة الجذب أو الخروج، وهذه الفكرة عن الله هي التي سادت فيما بعد في الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وفي الفيثاغورية المحدثة، فكرة إله معقول ومتعال يمثل – إلى حدٍ ما – الطابع اليوناني الخالص في فكرته عن الله، أما فكرة الإله قريب الصلة بالإنسان والمحب له فهي التي بشرت بها المسيحية بعد ذلك في وسط العالم عند ظهور المسيح[1].

❖ يقول فيلون بخلق العالم وحدوثه، ولكنه يفرق بين العالم المعقول والعالم المحسوس، فالأول خلقه الله من العدم المحض والنفوس الإنسانية قد ولدها كما يلد العقل أفكاره، أما العالم المحسوس فقد وجد نتيجة تنظيم الله لمادة سابقة أوجدتها الكائنات الوسيطة.

❖ الكلمة أو اللوغوس الوسطاء بصفة عامة في فلسفة فيلون جاءت نتيجة لقوله بالخلق المعقول والحسي، وأن الله ينأى عن الارتباط بالمخلوقات الحسية فجاء الوسطاء وهم "الكلمة أو اللوغوس. الحكمة – آدم – الملائكة – القوات الإلهية". على غرار ما شرحناه وبيناه سابقا

ولا شك أن فيلون في قوله بالوسطاء تأثر بكثير من الفلسفات السابقة مثل الرواقية وهيراقليطس وأفلاطون والفيثاغورية ولكن قوله بالكلمة أو اللوغوس أحدث ثورة بعد ذلك في الديانة المسيحية.

❖ مذهب فيلون الأخلاقي تأثر فيه تأثراً واضحاً بالكتاب المقدس "العهد القديم وبأرسطو في نظر الوسط وبالرواقيين في انعطاف آرائه الأخلاقية إلى الزهد والتنسك، وبأفلاطون في قوله ان الحكمة منحة يمنحها الله من يشاء من عباده وأن هدف النفس هو التخلص من الجسم والحياة الأرضية والصعود إلى الإله في صعود مفعم بالحب والسرور.

❖ أما عن مذهبه في التصوف فهو قائم على الفصل بين الروح والجسد وأن غاية الروح او النفس من خلال التصوف هو الوصول إلى الله والاتحاد به، وعلى كل ففلسفة فيلون تأثرت بكثير من الفلسفات السابقة وأثرت بعد ذلك على كثير من

(1) محمد على أيوريان. تاريخ الفكر الفلسفي.- جـ2/324.

الفلسفات اللاحقة وخاصة فلاسفة العصر الوسيط مسيحيين ومسلمين، كما كان له الأثر الواضح على بعض صوفية الإسلام.

والله الموفق

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:-

1) اتجاهات التفكير الفلسفي في العصور الوسطي. د/ماهر عبد القادر محمد على، د/حربي عباس عطيتو. ط2011م. نشر أورينال بالأسكندرية.

2) الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي. د/عبد الرازق احمد قنديل – ط دار التراث بالقاهرة بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط 1404هـ/ 1984م.

3) الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري. تأليف. إميل بريهيه؛ ترجمة د/محمد يوسف موسى، د/عبد الحليم النجار. ط مكتبة مصطفي البابي الحلبي القاهرة، 1954م.

4) أسس الفلسفة. د/توفيق الطويل – ط دار النهضة العربية. القاهرة 1979م. ط7.

5) اطلالات فكرية على فلسفة العصور الوسطى الأوربية. د/محمد حسيني موسى، محمد الغزالي، د/ محمد السيد احمد شحاته. ط1424هـ/ 2000م. ط1.

6) تاريخ الفلسفة اليونانية. يوسف كرم بدون تاريخ. طبع أو نشر أو ذكر الطابع أو الناشر. وط بيروت لبنان بدون تاريخ.

7) تاريخ الفلسفة اليونانية. د/ماجد فخري. ط دار العلم للملايين. بيروت لبنان، 1991 ط1.

8) تاريخ الفكر الفلسفي – أرسطو والمدارس المتأخرة. جـ2. د/ محمد على أبو ريان. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.

9) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية. د/فتحي محمد الزغبي. ط دار الآفاق العربية 2013م. ط1.

10) تمهيد التاريخ. مدرسة الأسكندرية وفلسفتها. د/نجيب بلدي. ط دار المعارف. 1962م.

11) الترجمة السبعينية للتوراة بين الواقع والأسطورة. د/سلوى كاطم. د-ت. طبع أو نشر.

12) التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه. د/عبد الرحمن محمد موسى المراكبي. ط دار تحسين للطباعة والنشر بالقاهرة، ط2. 1424هـ/ 2003م.
13) خريف الفكر اليوناني. د/عبد الرحمن بدوي. ط 1979. ط4 مكتبة النهضة المصرية.
14) علم التصوف. د/محمد مصطفى. ط1403هـ/ 1982م. ط1. مطبعة السعادة بالقاهرة، ط1.
15) فيلون السكندري. بين الفلسفة والدين- د/مجدي السيد أحمد كيلاني. 2014م. ط دار الكتب والوثائق القومية.
16) في الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية. د/محمد السيد نعيم. د/عوض الله حجازي. ط 1959م. ط ثانية.
17) الفلسفة اليونانية. تاريخها ومشكلاتها. د/أميرة حلمي مطر. ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. 1998م.
18) قصة الحضارة. ول ديورنت. ترجمة محمد بدران. مج6. ط مكتبة الأسرة، 2004م.
19) الكتاب المقدس. ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. بدون تاريخ.
20) محاضرات في النصرانية. الإمام محمد أبو زهرة. ط دار الفكر العربي القاهرة. د-ت.
21) مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية. د/مصطفى النشار. ط دار المعار. مصر. 1995م. ط1.
22) مدرسة الأسكندرية الفلسفية – التاريخ الحضاري والحوار الثقافي. د/محمد محمود أبو قحف. ط دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. 2004م.
23) مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي. د/مصطفى العبادي. د - ت.
24) معجم الفلاسفة. جورج طرابيشي. ط دار الطليعة. بيروت لبنان. 2006م. ط3.
25) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د/محمد عبد الرحمن مرحبا. مشورات. عويدات. بيروت. بدون تاريخ.
26) المصدر اليهودي في التوراة. دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية. د/شريف حامد سالم. ط مكتبة مدبولي القاهرة، د – ت.

27) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية. د/عبد المنعم الحفني. ط مكتبة مدبولى. د- ت.
28) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. د/عبد المنعم الحفني. الناشر مكتبة مدبولي القاهرة. 1400هـ/ 1980م. ط1.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
تمهيد	6
المبحث الأول: حياة فيلون وأهم مؤلفاته	8
مولده	8
مؤلفاته	13
المبحث الثاني: الخصائص العامة لفلسفة فيلون	15
المبحث الثالث: أسس فلسفة فيلون	18
المبحث الرابع: فلسفة فيلون الإلهية	26
المبحث الخامس: الوجود في فلسفة فيلون	31
المبحث السادس: الكلمة "اللوغوس أو اللوجوس" والوسطاء في فلسفة فيلون	37
المبحث السابع: مذهب فيلون في الأخلاق والتصوف	50
الخاتمة	57
المصادر والمراجع	60
فهرس الموضوعات	63